تأملات

في مزامير الأجبية

الكتاب الأول

في

صلاة الغروب

تأملات فى مزامير الأجبية :

الكتاب الأول فى

صلاة الغروب

لقداسة البابا شنوده الثالث

Contemplations On The Psalms
of The Sun-set prayer (Vespers)

by H.H. Pope Shenouda III

5th print

Sep. 1988

Cairo

الطبعة الخامسة

سبتمبر ١٩٨٨

القاهرة

الكتاب : تأملات فى مزامير الأجبية [صلاة الغروب] .
المؤلف : قداسة البابا شنوده الثالث .
الطبعة : الخامسة سبتمبر ١٩٨٨
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) العباسية ـ القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٢٣٧ / ١٩٦٩ م .



قداسة البابا شنوده الثالث

تصــدير

نقدم لك فى هذا الكتيب مثالاً من التأمل فى ثلاثة فقط من مزامير الغروب ، قصدنا أن تكون من المزامير القصيرة ، حتى يسهل عليك حفظها .

كل ما نريده أن تتدرب على فهم كلمات الصلاة بالمزامير ، وتدخل فى أعماقها ، وتفتح لها قلبك . وثق أن النعمة ستفتح لك ينابيع من تأملات وقد تزيد كل يوم ...

وما هذا الكتيب إلاَّ مجرد طرق لباب التأمل ...

إنه تأملات أُلقيت إلى جوار محاضراتنا سنة ١٩٦٨ ، ونُشرت مرتين من قبل . ونُعيد طبعها بناء على طلب مَنْ فاتهم إقتناؤها وقتذاك .

شنوده الثالث

إليك رفعت عيني يا ساكن السماء

مز : ١٢٢ (١٢٣)

« إليك رفعت عينى يا ساكن السماء ،

فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ومثل عينى الأمة إلى يدى سيدتها ،

كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا ... حتى يتراءف علينا ،

إرحمنا يارب إرحمنا . فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا ،

العار أردده على المخصبين ، والهوان على المتعظمين . هللويا » .

هذا المزمور ، نلاحظ فيه أنه مزمور تذلل ، تذلل أمام الله وإنسحاق . إنه مزمور لإنسان يرفع عينيه إلى الله ، كما يرفع العبد عينيه نحو سيده . و يقول له : « إننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا » . إمتلأنا هواناً يعنى (إمتلأنا ذلاً) . يعنى نفس تعبانة ومنسحقة . واقفة تكلم الله ...

ومن الجائز أن هذا الذى إمتلأ به ، يكون أحد نوعين من الذل : إما ذل الخطية التى أتعبت النفس . يعنى الشياطين أذلوه ، فامتلأ هواناً . وسقط . ونتيجة لهذا ، يحاول أن يقف أمام الله فى إنسحاق ، و يترجاه . وإما أنه إنسان مذلول من الأعداء والمقاومين . فحالما شعر بالتعب ، وإمتلأت نفسه هواناً ، إتجه إلى الله وقال له :

إليك رفعت عينى يا ساكن السماء

أنا إلتجأت إليك . لست مثل آدم ، الذى لما أتعبه الشيطان

وأذله ، فسقط ، إختبأ منك وخاف ، وابتعد عنك ! .. لا ، بالعكس . أنا لما أتعب وأسقط ، أرفع عينى إليك ..

رفعت عينى إليك ، لأنى لم أجد على الأرض معونة ... بل وجدت تجارب وضيقات ، ووجدت التعب والألم . فإليك رفعت عينى يا ساكن السماء ، لأن السماء فيها رحمة ، وفيها عدل من الظلم الذى على الأرض ... وهكذا عندما تفشل النفس البشرية ، تلجىء إلى الله وتقول له : « انظر إلى ذلى ومسكنتى وارحمنى » . أنت « معين مَنْ ليس له معين ، ورجاء مَنْ ليس له رجاء ، وعزاء صغيرى القلوب ، ميناء الذين فى العاصف » . وإذ قد فشلت على الأرض ، لا أجد إلاَّ ساكن السماء ، لأقول له :

إليك رفعت عيني :

* عندما لا أجد عوناً من البشر ، أرفع عينى إليك ، أنت يا مَنْ كلك محبة ، يا مَنْ لك القوة والقدرة ، لأن غير المستطاع عند الناس هو مستطاع عندك (لو١٨ : ٢٧) .

* وعندما أتعب من مضايقات الناس ، أرفع عينى إليك ،

أنت يا مصدر العدل ، يا مَنْ تحكم للمظلومين . أنت الذى ترى التعب الذى أنا فيه ، والذل الذى أنا فيه ، « لأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً » ...

* وعندما تضغط الخطية ، ولا أجد نصرة ، و يفشل الجهاد و يشل الإرشاد ، أرفع عينى إليك ، أنت الذى من عندك المغفرة ، وأنت الذى تنضح عليَّ بزوفاك فأطهر وتتوبنى فأتوب (إر٢١ : ١٨) .

هناك أشخاص عندما تصدمهم المشاكل يفكرون فى حلها بطرق أرضية بشرية . وهناك أشخاص آخرون يرفعون أعينهم إلى فوق ...

لذلك ، عندما تعجز كل طرقك البشرية ، وعندما يتعب ذراعك البشرى ، وعندما يتخلى عنك كل أصدقائك البشريين أو عندما يفشلون فى معونتك ، اصرخ حينئذ وقل : « إليك رفعت عينى يا ساكن السماء » . والأفضل من هذا كله، ألاَّ تنتظر حتى تتعب . بل وفر تعبك على الأرض ، ومن بادىء الأمر ، إرفع نظرك إلى فوق ، وقل : « إليك رفعت عينى يا ساكن السماء » ...

إنه توجيه جميل يلفت به الأب الكاهن أنظار الشعب المصلى أثناء القداس الإلهى، فيقول لهم: «أين هى قلوبكم ؟» ...

فيجيبون جميعاً : « هى عند الرب » ... إطمئن يا أبانا الكاهن ، فنحن ناظرون إلى فوق ... الله وحده يعلم أين تكون قلوبنا فى ذلك الوقت . ولكنها على الأقل تذكرة لازمة لنا لكى نرفع قلوبنا وعيوننا وأفكارنا إلى فوق ... متذكرين قولنا إلى الآب عن ربنا يسوع المسيح نفسه « ورفع نظره إلى فوق ، إلى السماء إليك » : ⲁϥϫⲟⲩϣⲧ ⲉ̀ⲡϣⲱⲓ ⲉ̀ⲧⲫⲉ ϩⲁⲣⲟⲕ

وفى معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات ، يقول عنه الكتاب أيضاً : « ورفع نظره نحو السماء » (لو٩ : ١٦) .

تأملوا كيف أنه لما حاصرت جيوش العدو مدينة السامرة : نظر حيجزى إلى الأرض ، فرأى خيول العدو ومركباته ، فارتعب . أما اليشع رجل الله فنظر إلى فوق ، وحينئذٍ قال لجيحزى : «لا تخف ، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم» (٢مل ٦ : ١٦) . وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول اليشع ...

ليس فى حالة طلب المعونة فقط نرفع أعيننا إلى ساكن السماء، بل فى كل حين، فى وقت الصلاة وفى غير وقت الصلاة، باستمرار نجعل عيوننا متعلقة بالرب .

صدقونى ، لو جعلنا هذا المبدأ باستمرار ، ما كنا نستطيع مطلقاً أن نخطىء ، شاعرين أن الرب أمامنا فى كل حين ...

إننا نخطىء لأننا نظراتنا كلها مركزة فى التراب ، فى الجسد وفى المادة . كل الذى يشغلنا هو شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة (١يو٢ : ١٦) .

إن حاربتك خطية ، وأتعبتك جداً ، وعندئذ نظرت إلى فوق ، فلابد أنك ستخجل ولا تستطيع أن تكمل الخطية . ستقول : « هوذا الله يرانى . كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله ؟ » (تك ٣٩ : ٩) . وهكذا تنسحق نفسك ، وتخاف الله الذى يقول لك : « أنا عارف أعمالك » (رؤ٣ : ١) .

وفى نفس الوقت الذى تقول فيه وأنت منسحق : « إليك رفعت عينى يا ساكن السماء » ، يكون ساكن السماء أيضاً ناظراً إليك . لأنه هو «ساكن فى الأعالى ، والناظر إلى

المتواضعات » (مز ١١٢) ... إن المنسحقى القلوب ، هم الذين ينظر إليهم الله ، لأنه هو نفسه الذى قال : « إلى هذا أنظر : إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى » (إش ٦٦ : ٢) . إلى هذا المسكين المذلول الذى لا يثق بقوته ، الذى يصرخ فى كل حين : « إليك رفعت عينى يا ساكن السماء » ...

يا ساكن السماء :

صحيح أن ربنا الآب المحب ، المحبوب من الجميع . ونحن عندما نصلى نقول له : « يا أبانا » . ولكن محبة الله لا تمنع ما يليق به من مهابة وتوقير . من أجل هذا عندما نصلى ، لا نقول فقط يا أبانا ، لكن نقول : « أبانا الذى فى السموات » ...

عبارة « الذى فى السموات » تعطينا فكرة عن كرامة الله . وعن مهابة الله ، وعن أن أبوته لا تمنع أنه رب وإله وخالق ، وله كل مجد واكرام وعز وسجود ...

نرى أن الشاروبيم والسارافيم لا يقدرون أن يرفعوا عيونهم إلى الله من فرط هيبته . « فبجناحين يغطون وجوههم » من هيبة

الله . ولذلك فإن الشماس على المذبح ، لما يتذكر هذا الموقف ، يمسك بلفافة و يبسطها أمام عينيه ، إعترافاً بأنه لا يقدر أن يرفع عينيه أمام مجد الله ...

عندما يهاب إنسان شخصاً ، فإنه لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى وجهه ...

ولذلك فالشيخ الروحانى فى كلامه عن أدب المبتدئين فى الرهبنة ، يقول عن الراهب المبتدىء : [ولا يملأ عينه من وجه إنسان] ؟ معناها أنه ينظر النظرة التى فيها شىء من الخجل والتى فيها شىء من الحياء ، بسبب هيبة مَنْ يقف أمامه .

والأنبا بيجيمى السائح ، يقال عنه إنه فى بادىء حياته الرهبانية فى المجمع ، قضى ٢٨ سنة مع الشيوخ [لم يرفع عينيه خلالها ليتأمل وجه واحد منهم] كان ينظر إليهم بهيبة وخشية واستحياء يليق بالأدب .

إذن ممكن من جهة الهيبة والتوقير لا يستطيع الإنسان أن يرفع عينيه . كذلك فى حالة الخجل من الخطية لا يستطيع الإنسان أن يرفع عينيه .

نلاحظ هذا فى الرجل العشار المنسحق النفس ، عندما دخل إلى الهيكل ليصلى ، يقول عنه الكتاب إنه : « وقف من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على صدره قائلاً : اللهم إرحمنى أنا الخاطىء » (لو١٨ : ١٣) .

وإشعياء النبى لما رأى الرب على عرشه محاطاً بالسارافيم ، قال : « و يل لى إنى هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين » (إش٦ : ٥) . و يوحنا الحبيب الذى كان يتكىء على صدر المسيح عندما رأى الرب فى سفر الرؤيا ، وقع على الأرض مثل ميت من هيبة الرب الذى كان وجهه « مثل الشمس وهى تضىء فى قوتها » (رؤ١ : ١٦ ، ١٧) .

إذن هناك أوقات فيها هيبة الله تتملك الإنسان ، و ينظر إلى الله كما ينظر العبيد نحو أيدى مواليهم ، وكما تنظر الأمة نحو يدى سيدتها .



ولماذا تعجب من هذا ، والأمثلة كثيرة ... ؟

دانيال النبي فى إحدى الرؤى التى رآها ، وأتاه جبرائيل الملاك ليفسرها له ، يقول : « ولما جاء خفت وخررت على وجهى إلى الأرض . فلمسنى وأوقفنى على مقامى » (دا ٨ : ١٧ ، ١٨) . وبعدما شرح له الرؤيا ، ختمها النبى بقوله : « وأنا دانيال ضعفت ونحلت أياماً ، ثم قمت وباشرت أعمال الملك .. » .

فإن كان دانيال العظيم يحدث له هذا ، ألاَّ يتملكنا نحن الخشوع فى حضرة الرب ؟! كثيراً ما كانت هيبة الرب تملك القديسين ، فيرفعون عيونهم نحوه ، مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ...

إبراهيم أبو الآباء ، لما وقف يكلّم الله ، قال له بنفس الإنسحاق : « إنى قد شرعت أكلم المولى ، وأنا تراب ورماد !! » (تك ١٨ : ٢٧) . وهكذا فى حضرة الرب شعر أنه تراب ورماد ، وهو خليل الله وحبيبه ...

وأيوب النبى فى تفاهمه مع الرب ، تكلم بنفس الأسلوب وقال له : « ها أنا حقير، فبماذا أجاوبك ؟! وضعت يدى على فمي . مرة تكلمت فلا أجيب ، ومرتين فلا أزيد ... ولكنني قد نطقت بما لم أفهم ، بعجائب فوقى لم أعرفها ... بسمع الأذن قد سمعت عنك ، والآن رأتك عينى . لذلك أرفض وأندم فى التراب والرماد » (٤٠ : ٤ ، ٥ ؛ ٤٢ : ٣-٦) .

إن هذا النبى العظيم ـــ مثله مثل أبينا إبراهيم ـــ عندما وقف يكلّم الله ، وجد نفسه مجرد تراب ورماد ...

إننا كثيراً ما نتجرأ جداً فى الصلاة ، أكثر ما يجب !! بينما ينبغى أن يكون فى صلاتنا عنصر الخشوع والإنسحاق .

إن القديس باسيليوس الكبير ، عندما شرح فى نسكياته آداب الحديث مع الله ، قال :

[إختر القول اللائق ، وقل هكذا : «أباركك أيها الرب الرحوم الطويل الأناة ، لأنك تأنيت عليّ وأنا أخطىء كل يوم ... » . فإذا مجدته بتسابيح من الكتب كما تقدر ، فحينئذ تبتدىء بتواضع قائلاً : «أنا لا أستحق يارب أن أفتح فمى

أمامك ، لأنى خاطىء جداً » . قل هكذا ، حتى لو كانت سريرتك لا تبكتك على شىء من الشر . لأنه ليس أحد بلا خطية إلاّ الله وحده ، ولأننا كثيراً ما نخطىء مرات عديدة وتنساها قلوبنا] .

وإذا ما قلت كلاماً ، فقله بتواضع هكذا : [أشكرك يارب لأنك طولت روحك على خطاياى ، وأمهلتنى بغير عقوبة إلى الآن ، وأنا مستحق كل عذاب فى مقابل خطاياى] ...

ومن أجمل الكلمات فى عنصر الخشوع هذا « صلاة الاستعداد » فى بداية القداس الإلهى ، وفيها يقول الأب الكاهن الذى هو شفيع للناس أمام الله ...

« أيها الرب العارف قلب كل أحد ، القدوس المستريح فى قديسيه ... أنت يارب تعلم أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب . وليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى أمام مجدك الأقدس ... بل ككثرة رأفاتك اغفر لى أنا الخاطىء ، وامنحنى أن أجد نعمة ورأفة فى هذه الساعة ... » تأملوا الكلام ، وروح الإنسحاق التى فيه ... « ليس لى وجه ، أن أقف وأفتح فاى ... » . أما نحن فنصلى بجرأة كبيرة فى كلامنا مع الله !

صحيح أنّ ربنا حنون ، وصحيح أن ربنا طيب ، وصحيح أن ربنا يحبنا أكثر مما تحب الأم رضيعها . ولكن لا يصح ــ فى جو هذه المحبة ــ أن ننسى أنفسنا ، وننسى أننا تراب ورماد ...

إننا كلما نتذلل أمام الله ، نأخذ من ربنا أكثر ، ونتمتع بمحبة ربنا بالأكثر ... إن كان القديس بطرس الرسول لما تذكر خطيته بكى بكاءاً مراً ، فماذا نفعل نحن إذن ؟!

هوذا المرتل لما أحس بالهوان الذى هو فيه ، صرخ قائلاً : « إليك رفعت عينى يا ساكن السماء . فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها » .

عيون العبيد :

هل مثل عينى العبد نحو يدى سيده يطلب منه شيئاً ، أو مثل عينى العبد الذليلتين المكسورتين ، اللتين لا يمكن أن ترتفعا حتى تصلا إلى وجه المولى ، بل بالكاد يصل نظرهما إلى يديه ؟...

وهكذا يقول المصلى للرب : « إليك رفعت عينى ... » ، فماذا أقول ؟! هوذا أنا خاطىء ومسكين قدامك ، وغارق فى

الخطية حتى أذني . فماذا أقول لك يارب ؟ إنني الآن صاعد إلى بيتك ، أرتل هذا المزمور من ترانيم المصاعد . ولكنني لا أستحق أى شيء أمامك . أمامك يستد كل فم . ليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى .

وعندما يستد الفم ، ترتفع العينان فى مذلة أمام الله ، حتى من غير كلام . وبدون كلام يفهم الله جيداً لغة العينين . وبخاصة العينين اللتين تنظران إليه ، مثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها ، فى إبتهال وإنسحاق ، أو فى دموع ...

داود النبى يقول له : « إنصت إلى دموعى » (مز٣٩ : ١٢) ، كأن الدموع لها لغة ، ولها كلام ! دموعى هذه هى فى زق عندك (مز٥٦ : ٨) . إنصت إليها ، واسمع ماذا تقول .. لأنها من عينين مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ...

لماذا يقول « العبيد » ، ونحن أبناء ؟!

إن الله يسمينا بنين وليس عبيداً ، فلماذا نقول : « مثل عيون العبيد » ؟ حتى الابن الضال ، لم ينزع منه لقب البنوة على الرغم

من سقوطه ! فقال : « إبنى هذا ، كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد » (لو١٥ : ٢٤) .

ولقب البنوة هذا لم يُطلقه الرب علينا فى العهد الجديد فقط ، وإنما منذ العهد القديم أيضاً . فيقول فى سفر إشعياء النبى : « ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا علىّ » (إش ١ : ٢) . بل إن هذا اللقب أقدم من زمن إشعياء بكثير . انظروا ماذا يقول الكتاب عن خطية البشر قبل الطوفان ؟ إنه يقول : « رأى أبناء الله بنات الناس أنهن حسنات » (تك٦ : ٢) .

لماذا نقول إذن عن عيوننا المرفوعة إلى الله ، إنها مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ؟! سأقول لكم لماذا :

إن المصلى يقف هنا ذليلاً أمام الله ، كخاطىء . يقول له فى إنسحاق : « لست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً ، إجعلنى كأحد أجرائك » (لو١٥ : ١٩) .

أنا جاى لك يارب ، وأنا عارف أنا مين . أنا جاى لك يا فاحص القلوب والكلى ، يا قارىء الأفكار . أنا قصادك مكشوف ومكسوف . مكشوف لأنى عريان قدامك ، وكل خطاياى واضحة

وظاهرة وتتقدمنى للحكم . عارف ضعفاتى ، وعارف نقائصى ، وعارف سقطاتى ، وعارف نجاساتى . عارف كل حاضرى وماضى ، ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً ... أنا أنظر إليك كما ينظر العبيد إلى مواليهم ، وكما تنظر الأمة إلى يدى سيدتها ...

إذن عنصر التذلل بسبب الخطيئة يجعلنا نستعمل هذا التعبير « عيون العبيد » . على أن هناك نقطة لا يصح أن ننساها وهى :

إن كون الرب الإله أباً لنا ، لا يمنع مطلقاً من أن يكون سيداً . بل إن كلمة « رب » معناها أيضاً (سيد) .

وكان القديسون يصلون إلى الله ، و يقولون له أيضاً يا سيد . وهذا واضح جداً فى صلاة دانيال النبى المشهورة (دا ٩) إذ يقول للرب : « لك يا سيد البر ، أما لنا فخزى الوجوه ... يا سيد ، لنا خزى الوجوه ، لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا ، لأننا أخطأنا إليك ... يا سيد ، حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك ... » إلى أن يقول فى آخر صلاته « يا سيد اسمع ، يا سيد اغفر ، يا سيد اصغ ... » .

فهل أنت يارب عندما تقول لنا يا أولادى ، ننسى أنك سيد لنا وإله ورب ؟! كلا ، إننا لا ننسى مطلقاً ... بل **إننا نقول عنك فى صلواتنا وقراءاتنا : « ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح »** .

ليس هذا من جهتنا فقط فى صلواتنا ، بل إن السيد المسيح نفسه بعد أن غسل أرجل تلاميذه ، قال لهم : « أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت ــ وأنا السيد والمعلم ــ قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض ... الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ... » (يو١٣ : ١٣-١٦) .

والقديس بولس الرسول العظيم والإناء المختار ، يبتدىء رسالته إلى أهل رومية بقوله : « بولس عبد يسوع » (رو١ : ١) . فهل فى هذا قد فقد بنوته ؟! حاشا ، إنه لم يفقدها . ولكننا أولاد لله ، وفى نفس الوقت هو سيدنا وخالقنا وربنا وإلهنا وملكنا ، ونحن عبيده ... ولنتأمل هذه العبارة فى الأسفار المقدسة .

عبارة « عبيد » :

لما ذكر الرب مثل العرس والمدعوين ، إستخدم عبارة « العبيد » مرات كثيرة . وماذا يقصد بكلمة « عبيد » ؟ كان يقصد الأنبياء والرسل وتلاميذه القديسين ، فقال : « يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لأبنه . وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا فأرسل عبيداً آخرين ... » إلى أن يقول : « أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم ... » (مت ٢٢ : ١-٨) .

فإذا كان الرسل والأنبياء القديسون تسموا عبيداً ، فنحن ماذا نكون ؟! أكثيراً أن نرفع عيوننا مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ؟

وليس الرسل فقط تسموا عبيداً ، بل إن الأبرار القديسين سيقول الرب لكل واحد منهم فى اليوم الأخير : « نعماً أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً فى القليل . فسأقيمك على الكثير . ادخل إلى فرح سيدك » (مت ١٥ : ٢١-٢٣) .

فإن كان هؤلاء القديسون الذين تاجروا فى وزناتهم وربحوا ، دعوا عبيداً ، فلنرفع نحن عيوننا إلى ساكن السماء كما يرفع العبيد عيونهم نحو أيدى مواليهم ، و يقول له كل واحد منا : أنا يارب خاطىء ومكسوف من صلاحك الذى لا يتفق مع خطيتى . فى كل يوم أصلى إليك وأقول : « قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت » . وأنت أيها الرب القدوس تنظر خطيتى . لذلك أنا مكسوف وخجلان . **مكسوف من خطيتى عندما تواجه قداستك غير المحدودة . أنظر إليك وأنا خاطىء ، كما ينظر العبيد نحو أيدى مواليهم ، وأقول : « لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً ... » ...**

أنت تقول إنى ابنك ، وأنا أناديك أبانا . ولكن لابد أن يكون ابنك على صورتك ومثالك . وأنا فقدت الصورة المقدسة التى خلقتنى بها عندما كونتنى على صورتك . فبماذا أخاطبك وقد كسرتُ وصاياك ، وأخطأت وأذنبت أمامك ؟! أنا غارق فى خجلى . ومركز الابن هذا ، أنا لا أستحقه ...

أمامنا ملك نينوى كمثال : ماذا فعل ذلك الملك ، عندما أحس بخطيئته بعد مناداة يونان ؟ طرح صولجانه وتاجه ، وجلس

على التراب والرماد ، وتغطى بالمسوح ، ولم يأكل شيئاً (يون٣ : ٦) . مالك أيها الملك ؟ إننا نسمعه يجيب : [أنا لست أمام الله ملكاً . أنا أمامه لا شيء . أمامه أنا مجرد إنسان خاطىء ، أجلس على التراب والرماد ، وأطرح التاج والصولجان ، وأرفع عينى إلى الرب مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها ، أطلب رحمتك] ...

أنا خائف أيها الإخوة . يوم تفتح الأسفار ، وتكشف الأعمال ، وتفحص الأفكار ، كيف نغطى وجوهنا ، أو أين نهرب ؟!

هناك قوم سيقولون للجبال غطينا وللتلال إسقطى علينا (هو١٠ : ٨ ؛ لو٢٣ : ٣٠) . وهناك مَنْ سوف يصرخ فى رعب وحيرة : أين أختفى من روحك ؟ ومن وجهك أين أهرب ؟! (مز١٣٩ : ٧) . أفضل شىء ، هو أننى من الآن أرفع عينى إليك فى تذلل . فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها . فارحمنا يا الله إرحمنا . لأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا ...

حسن هذا التذلل ، وهذا الخشوع . علمتنا إياه الكنيسة .

تعلمناه فى المطانيات ، حيث يسجد الإنسان سجوداً كاملاً ، ويحنى هامته حتى تصل إلى الأرض ، و يطلب من الله طلبة ، أو يرفع إليه صلاة . ينحنى فى خشوع ، فى خضوع ، فى توبة ، فى تذلل ، وقد التصقت رأسه بالتراب ...

نوع آخر من هذا التذلل ، كان موجوداً فى العقوبات الكنسية . لم يكن مصرحاً فى القديم لكل إنسان أن يدخل الكنيسة . كان هناك خطاة تمنعهم القوانين من الدخول إلى بيت الرب . فيقف الواحد منهم على الباب يتضرع إلى الداخلين والخارجين أن يصلوا لأجله . ينظر إلى باب الكنيسة كما ينظر العبيد إلى أيدى مواليهم ، شاعراً أنه غير مستحق أن يدخل لأن المحلة يجب أن تكون مقدسة « و ببيتك ينبغى التقديس يارب » ...

وإن سُمح له أن يدخل إلى خورس الباكين والتائبين ، يقف هناك كما وقف العشار فى الهيكل ، لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى فوق . فهاهما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها .

يتابع المرتل مزموره فيقول :

كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا ، حتى يتراءف علينا :

جميلة هذه العبارة « كذلك أعيننا ... حتى يتراءف » . معناها أننى سأظل هكذا يارب ، ناظراً إليك فى تذلل وإنسحاق ، كما ينظر العبيد إلى أيدى مواليهم . واستمر فى هذا الوضع إلى أن تتراءف علينا ، إلى أن آخذ طلبتى منك ، إلى أن تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ، وتنضح على بزوفاك فاطهر...

هذه الطلبة ترينا اللجاجة فى الإنسحاق ، واللجاجة فى التذلل ، وكيف أن المصلى لابد يطول باله على ربنا لغاية ما يأخذ طلبه .

إيليا النبى الجبار الذى قال : « إنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلاّ عند قولى » (١مل١٧ : ١) والذى أرسله الرب إلى آخاب الملك قائلاً له : « إذهب وتراء لآخاب ، فاعطى مطراً على وجه الأرض » (١مل١٨ : ١) . خرّ على الأرض وصلى ، وأرسل غلامه فلم يكن مطرٌ . فصلى النبى للمرة الثانية . ولم ينزل

المطر. وصلى للمرة الثالثة، ولم ينزل المطر. وصلى للمرة الرابعة والخامسة والسادسة، ولم ينزل المطر. ولم ييأس النبى، ورفع عينيه إلى الرب: «ها هما مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم، ومثل عينى الأمة نحو يدى سيدتها» ...

وصلى النبى للمرة السابعة، وإذا «غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر» ... فابتهج النبى «طيب يارب، مبروكة منك» .. ثم ما لبث المطر أن إنتشر وملأ الأرض.

هناك إنسان يصلى، ويمل بسرعة، ويقول: [أنا صليت من أجل الموضوع ده مرة ومرتين، وما فيش فايدة] !! .. ويفتكر أن ربنا مش عايز! لا يا أخى، إستمر فى صلاتك، ليس مرة واحدة ولا مرتين، ولا عشرة ولا عشرين، بل صل «حتى يتراءف الله علينا»، حتى تأخذ طلبتك من الرب. إن يعقوب أبا الآباء صارع مع الله، وظل يصارعه حتى نال طلبته، قائلاً له: «لا أطلقك إن لم تباركنى» (تك ٣٢ : ٢٦). وهكذا قيل له إنك: «جاهدت مع الله والناس وقدرت» (تك ٣٢ : ٢٨).

فلنجاهد إذن مع الله ، ولنقل له كما قال المرتل :

إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ...

إرحمنا يا الله إرحمنا ..

فى باذىء الأمر كانت العينان فقط تتطلعان إلى الله ، فى ذلّ وإنسحاق ، مثل عيون العبيد نحو أيدى مواليهم ، إلى أن أتى هذا الإنسحاق بالنتيجة المطلوبة ، وقال الرب لتلك النفس المنسحقة : « حولى عينيك عنى ، فانهما قد غلبتانى » (نش ٦ : ٥) . عندئذ بدأ اللسان يتكلم ، فاض من الذل الذى هو فيه ، فقال : « إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ... » .

عبارة « إرحمنا » هذه ، هى أكثر عبارة مستعملة فى الكنيسة :

* أول ما يدخل الكاهن الكنيسة ، يسجد أمام الهيكل ، ثم يرفع الستر وهو يقول : « إيلايصون إيماس »
ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ ⲏⲙⲁⲥ أى إرحمنا .

* وعندما يبدأ صلاة المزامير يقول أولاً : « إبشويس ناى نان » ⲠⲟⲤ ⲚⲀⲒ ⲚⲀⲚ أى يارب إرحمنا .
وهكذا نبدأ الصلاة بطلب الرحمة من الرب .

* وكل صلاة من صلوات الأجبية نقول فى مقدمتها ــ بعد صلاة الشكر ــ المزمور الخمسين « إرحمنى يا الله كعظيم رحمتك ... » ، ونختمها بقطعة « إرحمنا يا الله ثم إرحمنا » . فطلب الرحمة نضعه فى بداية وفى نهاية كل صلاة .

* وفى كل صلاة نقول « كيرياليصون » Ⲕⲩⲣⲓⲉ̀ ⲉ̀ⲗⲉⲏ̀ⲥⲟⲛ ٤١ مرة . ومعناها (يارب إرحمنا) . ونكرر هذه العبارة مرات عديدة أثناء القداس الإلهى وفى كل صلاة من صلوات الكنيسة الطقسية .

* وفى رفع بخور عشية ، وفى رفع بخور باكر ، تسمعون لحناً كبيراً يصليه الكاهن وهو يمسك بيده الصليب وثلاث شمعات وأوله (أفنوتى ناى نان) Ⲫϯ ⲚⲀⲒ ⲚⲀⲚ ومعناها يا الله إرحمنا .

* وفى رفع البخور بعدما يدور الكاهن حول المذبح ثلاث مرات ، يبخر أمام الهيكل قائلاً وهو يحنى رأسه : « وأنا كمثل

كثرة رحمتك ، أدخلَ إلى بيتك ، واسجد نحو هيكلك المقدس »
(مز٥ : ٧) .

* وكثيراً ما تسمعون الكنيسة وهى تتضرع بلحن « جى ناى نان » Ⲍⲉ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ أى (إرحمنا) . تصرخ به باللغة العربية ، وبالقبطية ، وباليونانية ، متوسلة إلى كل أقنوم من الثالوث الأقدس ، قائلة : إرحمنا .

* وفى نهاية الثلاثة تقديسات نقول : « يارب إرحم ، يارب إرحم ، يارب إرحم ، يارب بارك ، آمين . ونقول أيضاً : كرحمتك يارب ولا كخطايانا .

ليس أمامنا يارب سوى رحمتك ، نطلبها منك عشية وباكر ووقت الظهر وفى كل وقت ، لأنك أنت الوحيد الذى ترحم . وأنت الذى تعرف ذلتنا ومسكنتنا ، وأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا ...

إن العشار بصلاته المشهورة « اللهم إرحمنى أنا الخاطىء » إستطاع أن يرجع إلى بيته مبرراً (لو١٨ : ١٤) . فارحمنى يارب لأن كل جهادى وتعبى ، بدونك لا ينفع شيئاً . وأنت نفسك قد

قلت : « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو١٥ : ١٥) .

هذه الرحمة أطلبها منك يارب كل يوم ، لأننى بدونها لا أستطيع أن أعيش . إننى إنما أحيا برحمتك . « أما أنا فعلى رحمتك توكلت » (مز١٣ : ٥) . ولذلك فرحمتك هى موضوع تسبيحى وترتيلى . وكما قال داود : « بمراحم الرب أغنى » (مز٨٩ : ١) .

إن عبارة « إرحمنا » هى صوت إستغاثة من الإنسان إلى الله . هى صوت إنسان لا يجد سوى هذه الرحمة يلجأ إليها . ويحتمى فى أحضانها الدافئة ، الواسعة التى تسع الكل ...

غير أن هناك نصيحة هامة وخطيرة ، أقولها لكم ، وأحب الا تنسوها مطلقاً ، وعليها تتوقف رحمة الرب لكم ...

نحن نقول : « إرحمنا يا الله إرحمنا » ، فيجيبنا الرب قائلاً : « طوبى للرحماء ، لأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) . هل تريدنى أن أرحمك ؟ إرحم غيرك . أما إن كنت قاسى القلب ، فلن تجد عندى رحمة . لأنه « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (مت ٧ : ٢) .

حسن يارب منك هذا الاتفاق . ومادام بالكيل الذى نكيل به يكال لنا ، فنحن من الآن سوف لا نكيل للناس إلاَّ بالرحمة . سنرحم كل أحد ، فى كل عمل . كل مَنْ يقابلنا ، وكل مَنْ يعاملنا ، سنقابله بالرحمة ، والشفقة ، والحنان ، واللطف ، والمحبة . نرفعه فوق رأسنا ، ونضع أنفسنا تحت قدميه ... وننام مطمئنين إلى وعدك الصادق « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » .

نعم ، عندما نصلى قائلين : « إرحمنا يا الله إرحمنا » فلنسأل أنفسنا أولاً : هل نحن نرحم غيرنا . حتى نستحق أن يرحمنا الله ؟

هل أجسر أن أستغيث بالرب قائلاً : « لأننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا » ، وأنا فى نفس الوقت أهين غيرى واتعبه !! و يصرخ هذا الإنسان إلى الله بسببى قائلاً : « إرحمنا يا الله إرحمنا . فإننا كثيراً ما امتلأنا هواناً » !! كلا ، إن هذا الأمر لا يليق .. طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون .

من أجل هذا قال الرب : « أريد رحمة لا ذبيحة » (مت ٩ : ١٣) . رحمتك لغيرك أفضل عندى من ألف صلاة تقدمها وأنت قاسى القلب ...

لذلك رفض الرب صلوات القساة . وقال لهم : « حين تبسطون أيديكم ، أستر وجهى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة ، لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً ... » (إش ١ : ١٥) .

إن السيد المسيح عندما سأله ذلك الناموسى : « مَنْ هو قريبى » ، شرح لهُ مثل السامرى الصالح الذى صنع رحمة مع جريح جاز مقابله الكاهن واللاوى ... ثم ختم الرب المثل بسؤاله عمَنْ يكون قريب ذلك الجريح ، فأجاب الناموسى « إنه الذى صنع معه الرحمة » ، فقال له الرب : « إذهب أنت أيضاً واصنع هكذا » (لو ١٠ : ٢٩-٣٧) .

صدق سليمان الحكيم عندما قال إن : « الرحيم يحسن إلى نفسه » (أم ١١ : ١٧) . وفسر ذلك بأن الرحيم « يقرض الرب » (أم ١٩ : ١٧) . وما معنى « يقرض الرب » ؟ معناها أنه يعطيه سلفة ، يستلمها منه فى السماء ، وعلى الأرض أيضاً .

لذلك إملأوا الأرض رحمة . إملأوا الأرض حناناً . إملأوا الأرض حباً . إملأوا الأرض إشفاقاً . وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ، رحمة وحناناً وحباً وإشفاقاً ...

إن معلمنا يعقوب الرسول عندما تكلم عن الحكمة التى من فوق قال إنها مملوءة رحمة وأثماراً صالحة ، وقال أيضاً إنها : « مسالمة مترفقة مذعنة » (يع ٣ : ١٧) .

وربنا يسوع المسيح عندما وبخ الكتبة والفريسيين ، قال لهم : « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس » . فما هو يارب أثقل الناموس ؟ ما هو أهم شيء فيه ؟ يجيب « تركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان » . هذا هو مركز الرحمة عند الله ... مَنْ يرحم غيره ، يرحمه الرب . ومَنْ لا يرحم غيره ، لا يمكن أن ينال رحمة من الرب . « مَنْ يسد أذنيه عن صراخ المسكين ، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب » (أم ٢١ : ١٣) .

لقد أعطانا السيد الرب مثل ذلك العبد الذى كان مديوناً لسيده بعشرة آلاف وزنة ، وإذ لم يكن له ما يوفيه « تحنن سيد ذلك العبد ، وأطلقه ، وترك له الدين » . ولكن هذا العبد الردىء لما أخذ زميلاً مديوناً له وألقاه فى السجن ، حينئذ غضب عليه سيده وسلمه للمعذبين قائلاً له : « أما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك ، كما رحمتك أنا ؟! » (مت ١٨ : ٢٣) .

وهكذا فإن هذا العبد الشرير فقد الرحمة التى نالها أولاً ، وطالبه سيده بالدين الذى كان قد سامحه فيه . وكل ذلك لأنه لم يرحم رفيقه .

إن الذى لا ترحمه أنت ، يتولاه الله برحمته وبعنايته ، ويذكر لك ذنبك من جهته . ولعل من الأمثلة الواضحة فى سفر التكوين ، قصة يوسف الصديق . لقد ألقاه إخوته فى البئر بغير رحمة ، ثم باعوه كعبد ... وبعد سنوات طويلة لما جاءوا لشراء قمح من مصر ، وقعوا فى يد وزيرها (ولم يكونوا على معرفة بأنه يوسف) ، إنزعجوا ، وتذكروا خطيتهم القديمة . « **وقالوا بعضهم لبعض : حقاً إننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما إسترحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة . فأجابهم رأوبين قائلاً : ألم أكلمكم قائلاً : لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا ، فهوذا دمه يُطلب** » (تك ٤٢ : ٢١ ، ٢٢) .

تذكر يا أخى هذا الكلام كله ، عندما تقول : « إرحمنا يا الله إرحمنا » . وإن كنت قاسياً أو عنيفاً على أحد ، إرجع وعامله برحمة ، لكى يرحمك الله ... لأنه كما تصرخ أنت إلى الله ليرحمك من الذين أتعبوك ، يصرخ هو أيضاً طالباً أن يرحمه الله منك .

يقول المرتل : « إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا » .

لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً ..

كلمة « كثيراً » وكلمة « إمتلأنا » تدلان على مقدار الهوان الكبير الذى وقع فيه . يعنى يارب ، الحكاية مش بسيطة ، دى زادت خالص وامتلأنا هواناً ، وأنت ساكت لغاية لما إمتلأنا ...

إن بولس الرسول عندما ذكر متاعبه فى الكرازة قال : « بمجد وهوان ، بصيت ردىء ، وصيت حسن » (٢ كو٦ : ٨) . يعنى أنه تعرض للهوان وللصيت الردىء . أما المرتل فلا يقول هنا إنه تعرض للهوان ، وإنما إمتلأ هواناً ، وكثيراً ما حدث ، وإن هذا الهوان لم يتعرض له من الخارج ، وإنما إمتلأت به نفسه أيضاً . ولم يجد إلاّ أن يعرض مذلته على الله .

وفى المزمور الأخير من صلاة الغروب يشكو من نفس الأمر فيقول : « على ظهرى جلدنى الخطاة ، وأطالوا إثمهم » . ليس مجرد

جلدة واحدة ، وإنما أخذوا راحتهم فى الجلد ، وأطالوا إثمهم ، فأمتلأنا هواناً ، وإمتلأت نفوسنا ...

هذا الهوان قد يكون أحد نوعين : إما هوان بسبب الخطية ومتاعب الشياطين وكثرة العثرات والمثيرات ، وإما هوان بسبب ظلم الناس .. والنوعان موجودان فى الكتاب المقدس .

أما الذل والهوان الذى بسبب الخطية ، فمن أمثلته ما ورد فى صلاة دانيال النبى إذ يقول : « لك يا سيد البر ، أما لنا فخزى الوجوه ... لأننا أخطأنا إليك » (دا٩ : ٧، ٨) . ومن أمثلة ذلك أيضاً صلاة عزرا الذى وجد الشعب قد تدنس بزيجات أجنبية ، فقال : « ولما سمعت بهذا الأمر ، مزقت ثيابى وردائى ، ونتفت شعر رأسى وذقنى .. وقلت : اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك ، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، وآثامنا تعاظمت إلى السماء . منذ أيام آبائنا ونحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم » (عز٩ : ٣-٧) .

هذا هو الخزى والهوان الذى بسبب الخطية ، لأن الكتاب يقول : « عار الشعوب الخطية » (أم ١٤ : ٣٤) . ولهذا يقول إرمياء النبى : « نضطجع فى خزينا ، و يغطينا خجلنا ، لأننا إلى

الرب إلهنا أخطأنا ... ولم نسمع لصوت الرب إلهنا » (إر٣ : ٢٥) . وهكذا يقول الرب — فى سفر حزقيال النبى — للأمة كلها : « لكى تتذكرى فتخزى ، ولا تفتحى فالكِ بعد بسبب خزيكِ ، حين أغفر لكِ كل ما فعلتِ » (حز١٦ : ٦٣) .

كل هذا هوان بسبب الخطية ، لأن الخطية تجلب الخزى والعار . والمصلى عندما يقول فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً . إنما يذكر أمام الله خطاياه التى أوقعته فى العار والذل والخجل ، و ينسحق أمام الله بسببها ..

على أن هناك هواناً آخر ، بسبب ظلم الناس واضطهادهم .

وفى ذلك يقول داود النبى : « اليوم كله خجلى أمامى ، وخزى وجهى قد غطانى ، من صوت المعير والشتائم ، من وجه عدو ومنتقم » (مز٤٤ : ١٥ ، ١٦) . ولم يكن ذلك بسبب الخطية ، إنما من أجل الرب . إذ يقول داود بعدها مباشرة : « هذا كله جاء علينا ، وما نسيناك ولاخنّا عهدك . لم يريد قلبنا إلى وراء ، ولا مالت خطوتنا عن طريقك » إلى أن يقول : « من أجلك نمات اليوم كله . قد حسبنا مثل غنم للذبح » (مز٤٤ : ٢٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول داود النبى : « لأنى من أجلك إحتملت العار. غطى الخزى وجهى. صرت أجنبياً عند إخوتى، وغريباً عند بنى أمى. لأن غيرة بيتك أكلتنى، وتعييرات معيّريك وقعت علىَّ » (مز٦٩ : ٧-٩) .

إذن ممكن من أجل الرب ، من أجل الحق ، ومن أجل غيرة مقدسة ، تمتلىء النفس هواناً ، وتعييراً ، و يغطى الخزى وجهها ... وهكذا عاش الأنبياء والقديسون ، يصرخون إلى الرب فى كثير من الأوقات قائلين : « إرحمنا يا الله إرحمنا . فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ، وكثيراً ما إمتلأت نفوسنا » .

وعلى العموم فهذا الهوان ، أو هذا الخزى ، يرفعه الرب عنا ، بطرق كثيرة ، منها : الإنسحاق والتوبة ، وأيضاً الإيمان .

فمن وجهة الإنسحاق ، يقول المزمور : « لا يرجعن المنسحق خازياً » (مز٧٤ : ٢١) . نعم ، لا يمكن أن يخزى المنسحق بل أن الله يرفع عنه الخزى . لأنه « يقيم المسكين من التراب ، و يرفع البائس من المزبلة ، ليجلس مع رؤساء شعبه » .

فإن كنت يا أخى قد إمتلأت هواناً ، إنسحق أمام الله ، فيرفع وجهك . إنسحق أمامه حتى يقبل صلاتك ، حينما تقول له : « إرحمنا يارب إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً ... » .

أصعب من الخزى هنا ، الخزى فى اليوم الأخير. مساكين الذين يخزون فى ذلك اليوم ، حينما تُكشف الأعمال وتُفحص الأفكار! .. أولئك يصرخون إلى الله قائلين : « إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا كثيراً ما إمتلأنا هواناً » فيجيبهم : « الحق أقول لكم إنى لا أعرفكم » فيزدادون هواناً على هوان ، وخزياً على خزى ...

هذا الخزى فى اليوم الأخير ، وهذا الهوان ، يرفعه الرب عنا بالإيمان . إذ يقول الرسول : « كل مَنْ يؤمن به لا يخزى » (رو٩ : ٣٣) و يكررها مرة أخرى فى (رو١٠ : ١١) ... وطبعاً ليس المقصود هو مجرد الإيمان العقلى ، بل الإيمان العامل بالمحبة (غل٥ : ٦) لأن الإيمان بدون أعمال ميت (يع٢ : ٢٦) لا يمكنه أن يمنع الخزى فى اليوم الأخير.

هذا الخزى ، أو هذا الهوان ، الخاص بالخطية قد حمله الرب عنا ، لكى ننجو نحن من الهوان والخزى .

وهكذا يقول عنه الرسول : « من أجل السرور الموضوع أمامه ، إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢) . صار عاراً عند البشر، ومحتقراً عند الشعب ، كل الذين يرونه يستهزئون به (مز ٢٢ : ٦ ، ٧) « محتقر ومخذول من الناس ... محتقر فلم نعتد به ... ظلم ، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه . كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه ... وأحصى مع أثمة (إش ٥٣) . ونحن نقول له فى القداس الغريغورى : « إحتملت ظلم الأشرار. بذلت ظهرك للسياط ، وخديك أهملت للطم ... لم ترد وجهك عن خزى البصاق » (إش ٥٠ : ٦) .

فإن قلت يا أخى فى صلاتك : « إرحمنا يا الله إرحمنا لأننا قد إمتلأنا هواناً ، تذكر حينئذ الهوان الذى تحمله المسيح من أجلك ، وهو برىء ، وتحمله صامتاً لم يفتح فاه ...

حينئذ ستصغر ضيقاتك فى عينيك ، وحينئذ ستغير صلاتك وتقول : « إرحمنا يا الله إرحمنا ، فإننا قد ملأناك هواناً بسبب خطايانا ، حينما وضع عليك إثم جميعنا » ...

العــار أردده علـى المخصـــبين ، والهــوان علـى المتعظمين . الليلو يا :

ليس معنى هذه الآية الأخيرة من المزمور أن الإنسان يطلب الشر لغيره . كلا ، بل إنه على رأى القديس أوغسطينوس أن المرتل قد قال هذا الكلام وأمثاله بروح النبوة ، ناظراً العار والهوان الذى ينتظر المخصبين والمتعظمين . أما المخصبون فهم الذين تمتعـوا فى الدنيا بالراحة والسعة والغنى ، وساروا فى الطريق الواسع . وأما المتعظمون فهم المنتفخون بقلوبهم . وهؤلاء وأولئك لم يعيشوا مطلقاً فى حياة الإنسحاق .

هؤلاء المخصبون والمتعظمون ، لم يمتلئوا هواناً على الأرض ، ولم يعيشوا فى طقس لعازر المسكين ، ولم يدخلوا من الباب الضيق ، ولم يعرفوا حياة الإتضاع ، بل قد أذلوا غيرهم على الأرض .

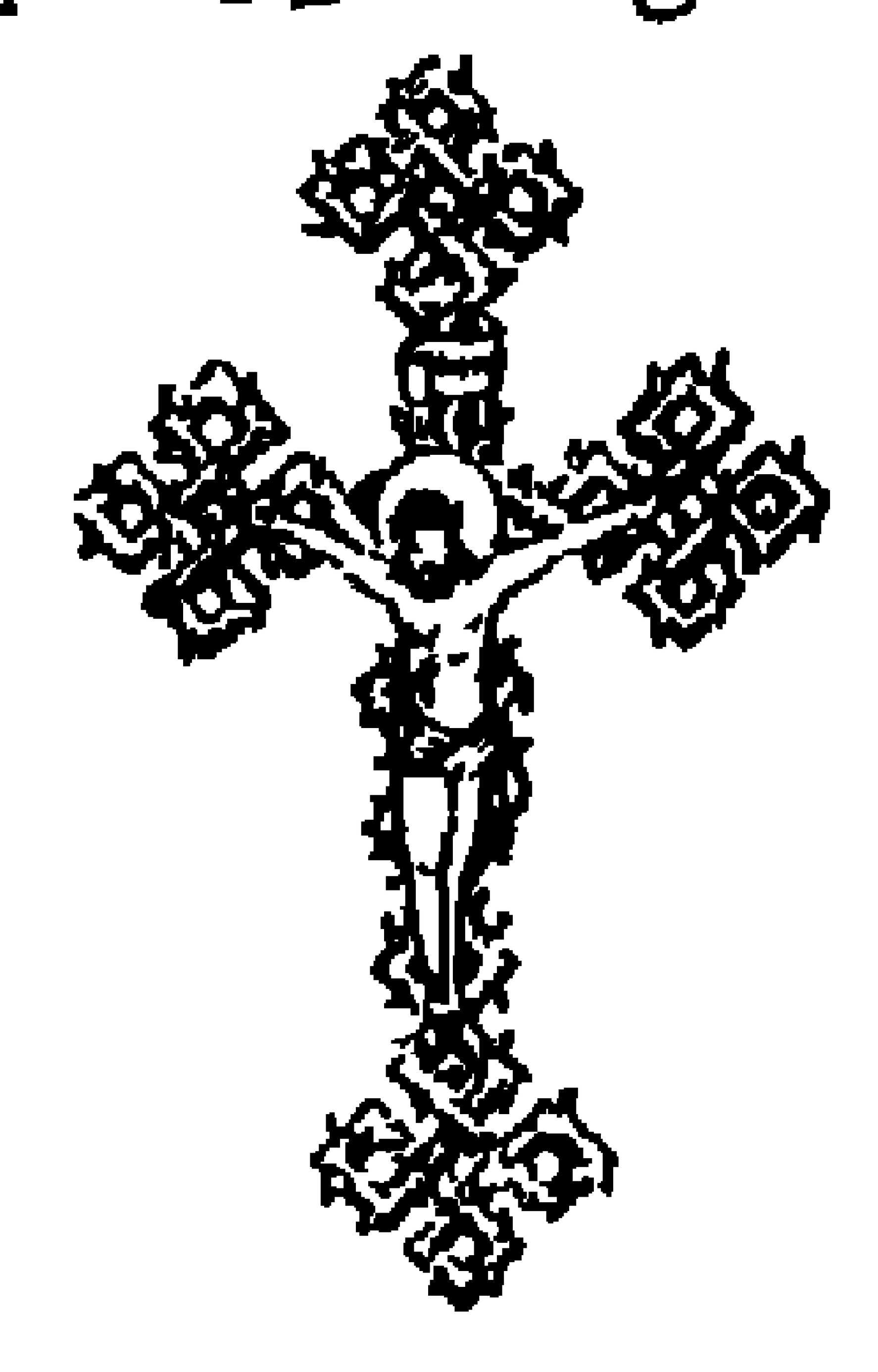
لذلك سيرد الرب عليهم العار الذى الحقوه بغيرهم ، والذل الذى أذلوا به كل مَنْ كان أقل منهم . وبالكيل الذى كالوا به للأخرين ، سيكال لهم و يزاد .

هؤلاء قد إستوفوا خيراتهم على الأرض عظمة وغنى وجاهاً . وكل مَنْ إرتفع سيتضع ، ومَنْ إتضع سيرتفع كما قال الرب ...

عندما تصلى يا أخى هذه الصلاة ، إحترس من أن تكون أنت أيضاً من المخصبين أو من المتعظمين ... تذكر أن الله أنزل الأعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين . « أشبع الجياع خيرات ، وصرف الأغنياء فارغين » كما قالت والدة الله فى تسبحتها الخالدة (لو١ : ٥٢ ، ٥٣) .

قل له : جيد يارب أن نمتلىء ههنا هواناً على الأرض ، ونحمل صليبنا كل يوم ، إلى أن يأتى الوقت الذى نستريح فيه فى أحضانك ، فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد ، حيث تمسح ــ بحنانك ــ كل دمعة من عيوننا ...

لك المجد فى محبتك ، من الآن وإلى الأبد ...







مز ١١٩ (١٢٠)

« إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى .

يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش .

ماذا تعطى وماذا تزاد بإزاء اللسان الغاش ؟ سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية .

ويل لى فإن غربتى قد طالت علىَّ ، وسكنت فى مساكن قيدار. طويلاً سكنت نفسى فى الغربة .

ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام .

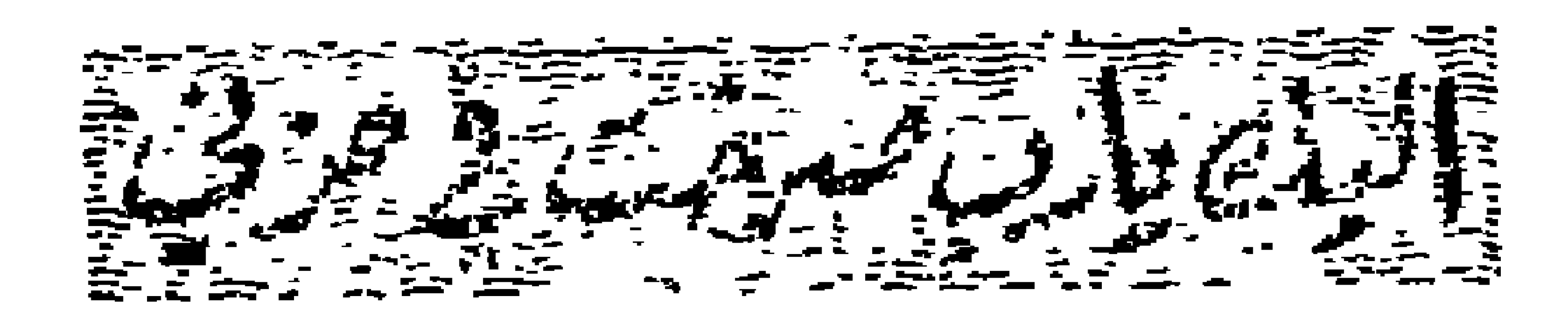
وحين كنت أكلمهم كانوا يعادوننى باطلا .

هليلويا .

مقدمة

هذا المزمور له أهمية كبيرة ، على إعتبار أنه أول المزامير التى كانوا يسمونها « مزامير المصاعد » أو « ترانيم المصاعد » و يرتلون بها وهم صاعدون فى طريق أورشليم .

والمفسرون الروحيون الذين يأخذون الكتاب المقدس بطريقة رمزية ، يقولون إن هذه المصاعد ترمز إلى السلم الروحى الذى يصعده الإنسان فى طريق الرب . ومادام مزمورنا فى هذه الليلة هو أول ترنيمات المصاعد ، إذن فهو يعطينا فكرة عن أول درجة فى السلم الروحى . إنه يقول :



إنه شيء جميل ، هذا الذى يبدأ به المرتل مزموره . لأنه يتكلم عن الماضى فيقول : « إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى » . **فهو قبل أن يطلب أى طلب ، يذكّر ربنا بالعشرة**

القديمة التى بينهما . يجعل صلواته تعتمد على الخبرة الروحية التى بينه وبين الله .

وكأنه يقول للرب : أنا يارب لما صرخت إليك فاستجبت لى عرفت كم أنت طيب ، وكم أنت معين لأولادك ، وكم أنت مستجيب للصلوات . ومن أجل هذا ، أتقدم إليك بطلب جديد وهو : « نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش » .

إن الإنسان يبنى صلواته على إختباراته الروحية ، تماماً كما نقول فى صلاة الشكر : « نشكرك على كل حال ، ومن أجل كل حال ، وفى كل حال ، لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا ... إلخ » « من أجل هذا » ... من أجل محبتك لنا ، إذ سترتنا وأعنتنا وحفظتنا ... « من أجل هذا ، نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر ، إمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس » الطلبة مبنية على خبرات فى عشرتنا لله ...

وأنت يا أخى المبارك ، حاول فى كل مرة يستجيب لك الرب فيها ، ويصنع معك خيراً ، أن تحتفظ بها فى ذاكرتك وفى قلبك ، وتضمها إلى خبراتك الروحية فى عشرتك مع الله ،

وتجعلها مصدر دالة فى صلواتك المقبلة ، إذ تقول لله : « من أجل هذا ، أسأل وأطلب ... » .

إن داود النبى والمرتلين الآخرين الذين كتبوا المزامير، لم ينسوا أبداً خبراتهم مع الله . بل هوذا داود يبدأ مزموره بتذكار علاقته الماضية مع الرب فيقول : « إليك يارب صرخت فى حزنى ، فاستجبت لى » . ولعل الصاعدين إلى أورشليم — وهم يرتلون هذا المزمور — كانوا يتذكرون إحسانات الله إليهم عبر ذلك الماضى الطويل : يتذكرون شق البحر الأحمر، وتحويل المياه المرة إلى عذبة ، وتفجير الماء من الصخر، والمن والسلوى ، والنجاة من الأعداء ...

وأنت يا أخى عندما تصلى ، ماذا تتذكر فى صلاتك ؟ هل تفعل مثل الذين لا يحدثون الله إلاّ عن المستقبل فى صلواتهم . وفى كل مرة يصرخ الواحد منهم إلى الله و يقول : [عاوز، عاوز، عاوز] ؟!

لماذا لا تكلم الله عن ماضيه معك ؟ وتقول له : أنت يارب عملت معى كذا وكذا ، وساعدتنى فى كذا وكذا ...

وأنا لا يمكن أن أنسى إحساناتك إلىَّ . معونتك يارب ليست جديدة علىَّ ، وليست غريبة علىَّ . أنا يارب إليك صرخت فى حزنى فاستجبت لى . من أجل هذا أسأل وأطلب ...

إليك يارب صرخت :

إليك أنت يارب صرخت ، وليس إلى سواك . لأن من عندك المعونة ، ومن عندك المغفرة . أنا لا أتكل على ذراع بشرى ، ولا أعتمد على نفسى ، فى انى أنجى نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش . وإنما إليك أنت يارب صرخت . أنت الوحيد الذى تسمع فى حنو ، وتعرف طلبات القلب .

ربما إذا إلتجأت إلى الناس يخجلوننى ، أو يردوننى خائباً ، أو على الأقل ينظرون إلىَّ فى إشفاق ، و يقولون : [مسكين ، ربنا يساعده] . أما أنت فلما صرخت إستجبت إلىَّ . لذلك فأنا دائماً أتكل عليك وليس على البشر الذين ليس عندهم خلاص .

إليك يارب صرخت ، لأن أعدائى أقوياء ، وأنا ضعيف أمامهم . ضعيف عن مقاتلة أصغرهم . كم من مرة إستجمعت

قواى ، وقلت لابد أن أنتصر عليهم ، ثم خرت فى الطريق وسقطت . وأخيراً صرخت إليك فى حزنى ، وفى ضيقى ، وفى عجزى ، لأن من عندك القوة ...

ربما يأتى الشياطين و يشككون القلب قائلين : لماذا تطلب الله فى حزنك وضيقك ؟ إذن لولا الضيقة ما كنت تطلبه ؟! .

صحيح أن الصلاة مفروض أنها تكون حديث حب مع الله ، ولكن حتى هذه التى فى ضيق يقبلها الله بل و يطلبها أيضاً . ألم يقل : « ادعنى فى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى » (مز ٥٠ : ١٥) . إن الله يريدنا آن نكلمه ، ونتحدث إليه ، أياً كان السبب ، وأياً كانت المناسبة . ليس لأنه محتاج إلى كلامنا ، وإنما من أجلنا ، لكى يمتعنا بذاته ، و يظهر لنا محبته ... لذلك يسر عندما نقول له : « إليك يارب صرخت فى حزنى » ...

هذه العبارة الأولى فى المزمور ، كانت مجرد مقدمة ، دخل بها المرتل ليعرض على الله طلباته . فماذا طلب منه ؟..



يارب نج نفسى . من الممكن أن أحتمل المتاعب والضيقات التى تصيب جسدى . أما الآن فإن نفسى فى خطر ، وأريدك أن تنقذها . من أجل أبديتى أصرخ إليك : « نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش » .

فما هو الفرق بين الشفاة الظالمة واللسان الغاش ؟

الشفاة الظالمة هى التى تظلمك ، تتهمك إتهامات زور ، تلفق حولك إدعاءات باطلة ، تقسو عليك ، تنسب إليك ما ليس فيك من العيوب . أما اللسان الغاش ، فهو اللسان الذى يمدحك و يتملقك عن غير حق . وهكذا يمكن بضربات يمين وضربات شمال يسقطك الشيطان .

لذلك فأنت تصرخ طالباً أن ينقذك الله من الشفاة الظالمة . تقول له : نج نفسى منها . لأنه من الجائز أن يضغط

الظلم على نفسى ، فأتعب ، وربما أغضب ، وربما أفقد محبتى للناس ، وربما أدين غيرى ، وربما ادافع عن نفسى بغباوة ... لذلك نج نفسى من الشفاة الظالمة ...

ونجنى أيضاً من اللسان الغاش ، لأنه ليس أقل خطراً منها . فاللسان المادح أو المتملق أو المرائى ، أو المتظاهر بالمحبة ، ربما يتلفنى هو أيضاً من الداخل : يفقدنى بساطتى ، أو يفقدنى تواضعى ، أو يدخل إلى عقلى أفكاراً ومشاعر وإيحاءات لا تليق بقلب نقى ...

لذلك إنقذنى من كليهما ، من ضربات اليمين وضربات اليسار. وانشد يارب فى أذنى أغنيتك الجميلة التى تقول لى فيها : « يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وإليك لا يقتربون » (مز ٩١ : ٧) .

داود النبى تعرض للشفاة الظالمة : ومن أمثلتها شمعى بن جيرا الذى كان يرشقه بالحجارة وهو يقول : « أخرج أخرج ، يا رجل الدماء ، ورجل بليعال . فقد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضاً عنه ... وها أنت واقع بشرك ، لأنك

رجل دماء » (٢صم١٦ : ٧ ، ٨) . وقبل شمعى كثيراً ما تكلّم شاول الملك على داود بشفاة ظالمة قائلاً : « ابن الموت هو » (١صم٢٠ : ٣١) . وكان يحاول أن يهيج يوناثان عليه قائلاً : « مادام ابن يسى حياً ، لا تثبت أنت ولا مملكتك » .

وهذه الشفاة الظالمة تعرض لها ربنا يسوع المسيح نفسه :
قالوا إنه سامرى وبه شيطان ، وقالوا إنه ببعلزبول يخرج الشياطين . وقالوا إنه أكول وشريب خمر . وقالوا إنه ناقض للشريعة وكاسر للسبت . وقالوا إنه لا يريد أن يدفع جزية لقيصر ... شفاة ظالمة ، لا حد لإتهاماتها الباطلة ...

قل له : نجنى يارب من الشفاة الظالمة ، لأنك أنت نفسك قد إختبرت ظلم الأشرار ، والحكم الذى صدر عليك كان حكماً ظالماً . كم كان قيافا ظالماً حينما مزق ثيابه قائلاً عنك : « قد جدّف . ما حاجتنا بعد إلى شهود !! » (مت ٢٦ : ٦٥) .

وتعرض للشفاة الظالمة أيضاً ، الأنبياء والرسل والآباء القديسون : إرمياء النبى اتهم بأنه يضعف معنويات الشعب ، وشتموه ، وإتهموه بالكذب ، وضربوه ، وقالوا : « حق الموت على

هذا الرجل لأنه قد تنبأ على هذه المدينة كما سمعتم » (إر٢٦ : ١١) . وقالوا عنه أيضاً : « هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر » (إر٣٨ : ٤) . وأخذوه وألقوه فى جب فغاص فى الوحل .

وما أكثر الشفاة الظالمة والإتهامات الباطلة التى تعرض لها رسول عظيم كبولس الرسول . بل إن قديساً عظيماً جداً مثل البابا أثناسيوس الرسولى ، إتهموه بالزنا ، وبالقتل ، وبالإلحاد ، وباتهامات سياسية أيضاً ...

وما أبشع الشفاة الظالمة التى تلقى أفظع الإتهامات بمنتهى السهولة ، وبمنتهى البساطة ... وما أبشع الشفاة الظالمة التى تجرح شعور الآخرين ، أو تعاملهم كما لو كانوا بغير إحساس على الإطلاق ...

لذلك صرخ المرتل إلى الرب قائلاً : « نج نفسى من الشفاة الظالمة ، ومن اللسان الغاش » . ذلك اللسان الغاش الذى يتملق ويرائى ، ويتظاهر بالصداقة وهو عدو . ويقدم النصيحة كإنسان مخلص ، وكلها سم مميت . ويتكلم بالمديح ، وهو يدبر المؤامرات .

لا تشعر مطلقاً بخوف منه ، ولا تأخذ حذرك من جهته ، بل قد تطمئن إليه جداً ، وهو يحفر لك حفراً فى الخفاء .

تعرض السيد المسيح للسان الغاش ، من الشيطان ومن الناس . أتاه المجرب بلسان غاش وقال له : « إن كنت ابن الله ، فاطرح نفسك إلى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أيديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك » (مت ٤ : ٦) . ومنظر جميل رائع ، أن كل الناس فى الهيكل يشاهدون شخصاً محمولاً على أيدى الملائكة ، فيؤمنون !! إنه لسان غاش لم يقبله الرب .

وأتاه أيضاً الفريسيون بلسان غاش ، كله مديح وملق ورياء ، لكى يصطادوه بكلمة . فقالوا له : « يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ » (مت ٢٢ : ١٥-١٨) . إنه لسان غاش ، يمدح — ليس إيماناً بما يقول — وإنما ليصطاد غيره بكلمة . لذلك أجابهم الرب على هذا المديح بقوله : « يا مراؤون ، لماذا تجربوننى ؟... » .

من الجائز جداً أن يكون المتكلم بلسان غاش هو الشيطان نفسه ، حتى إن نطق على فم أحد من الناس !...

مثال ذلك كلام بطرس الرسول ، الذى لما سمع قول الرب عن آلامه وموته ، أخذه إليه ، وإبتدأ ينتهره قائلاً : « حاشاك يارب ، لا يكون لك هذا » (مت١٦ : ٢٢) . والتفت الرب وقال لبطرس : « إذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى . لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس » .

لذلك عندما تذكرون الشفاة الظالمة واللسان الغاش فى صلواتكم ، إنسبوها إلى الشيطان وليس إلى الناس ...

ولكن لعل أحد يسأل : لماذا نطلب من الله أن ينجينا من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش ؟ لماذا لا نحتمل ؟!... إن ربنا يسوع المسيح « ظلم ، أما هو فتذلل ولم يفتح فاه » (إش٥٣ : ٧) . فلماذا لا نسلك مثله ؟!

طبعاً المفروض أن الإنسان لما يصل إلى الكمال . يصل إلى الدرجة التى تموت فيها نفسه عن الكرامة وعن الهوان . مثل النصيحة التى وجهها القديس مقاريوس الكبير إلى أحد الرهبان .

إذ طلب إليه أن يذهب ويمدح الموتى ، وأن يذهب مرة أخرى ويذمهم . ولما لم يجيبوا عليه فى كلا الحالين ، قال له القديس : [إن أردت أن تعيش مع الله ، كن مثل هؤلاء الموتى . لأن الميت لا يبالى بكرامة ولا بهوان] .

ولكن كما قلت لكم : نحن نتكلم عن الدرجة الأولى من سلم المصاعد التى تصعد إلى الهيكل . والمرتل هنا إنسان مبتدىء ، فى أول طريقه إلى الله . وهو أيضاً صريح مع الله ، يشرح حاله كما هو...

وكأنه يقول : أريد يارب أن أكون صريحاً معك . لا أستطيع أن أكذب عليك وأقول إننى لا أتأثر من الشفاة الظالمة ولا من اللسان الغاش . أنا إنسان ضعيف لم أصل بعد إلى درجة عدم التأثر هذه . أنا يارب ضعيف ، أصلى إليك وأقول : « لا تدخلنا فى تجربة » ... أما الأقوياء فإنهم يحسبونه كل فرح حينما يقعون فى تجارب متنوعة (يع ١ : ٢) . ولكننى أنا صغير وضعيف ، ولم أصل بعد إلى هذا المستوى . لسة بدرى علىَّ !!

نقطة أخرى : عندما أقول : «نج نفسى من الشفاة

الظالمة ومن اللسان الغاش » ، قد أقصد نفسي : قد يكون لساني أنا هو اللسان الغاش ، وشفتاى هما الشفاة الظالمة .

عندما نذكر هذه الطلبة فى صلواتنا ، ليت كل واحد فينا يسأل نفسه : مَنْ من الناس قد ظلمته ؟ ما هى ألفاظ الظلم التى خرجت من فمى ؟ وما هى الإتهامات الباطلة التى إتهمت بها بعض الناس ؟ متى أدنت أحداً إدانة ظالمة ؟ متى حكمت على غيرى حكماً باطلاً بدون فحص ولا تحقيق ؟ متى جرحت شعور الناس بكلام قاس شديد ؟ متى أوصلت كلاماً رديئاً يسيء إلى إنسان ...

على أن هذه الشفاة الظالمة التى نظلم بها الناس ، قد نظلم بها الله نفسه أيضاً !! ... وما أكثر الأمثلة :

إنسان يمرض مثلاً ، فيصرخ إلى الله متذمراً : [إنت مش سايبنى ولا دقيقة أستريح] ! وجايز أن المرض لا يكون من عند الله ، بل قد يرجع إلى إهمال هذا الشخص فى صحته ...

أو تلميذ مثلاً يسقط فى إمتحان ، فيصيح نحو الله بشفاة ظالمة و يقول : [ليه بس يارب كل سنة تسقطنى . وفيه تلاميذ وحشين

مابيروحوش الكنيسة ونجحوا . إشمعنى أنا ؟!] و يبدأ فى أن يجدف على الله . وقد يكون رسوبه راجعاً إليه هو .

إنها شفاة ظالمة . لا تظلم مجرد إنسان ، وإنما الله نفسه ! كل شر يحيق بالإنسان ، ينسبه إلى الله ، ويقول إن الله هو السبب !! و يبدأ فى شجار مع الله ، أو سوء تفاهم ، أو فى سلسلة من التهديدات : بعدم الذهاب إلى الكنيسة ، أو عدم السلوك حسناً ، أو السير فى الطريق البطال الذى سلك فيه الذين نجحوا من الأشرار !!...

وأنا عندما أقول : « نج نفسى من الشفاة الظالمة » ، إنما أقصد أن تنجينى من هذا الخطأ أيضاً : فلا أظلمك ، ولا أجدف على اسمك ، ولا أتهمك إتهاماً باطلاً ، ولا أشك فى محبتك ، ولا أشك فى حنانك ، ولا أفترى على عدلك ولا على قدرتك ، ولا أتكلم عليك أية كلمة بطالة . و باختصار ، نج نفسى من الشفاة الظالمة .

وأيضاً بالنسبة إليك يارب ، نج نفسى من اللسان الغاش ...

أقول لك : « محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتي » (مز١١٩ : ٩٧) ، وأنا لا أتلو اسمك دقيقتين أو ثلاثة ! وأقول : « بللت فراشي بدموعى » (مز٦ : ٦) ، وأنا لم يحدث لى شىء من هذا ! وأقول : « يا الله أنت إلهى إليك أبكر ، عطشت نفسي إليك » (مز٦٣ : ١) ، وأنا لا أبكر للصلاة ، وإن قمت مبكراً أنشغل بأشياء أخرى ... !..

ولكن على الرغم من كل هذا ، لا أريد أيها الإخوة أن أعتبر هذا لساناً غاشاً. فالمزامير فيها نواحى تعليميه . وليكن أمثال هذا الكلام نوعاً من الوعظ ، أو نوعاً من الإيحاء .
بحيث عندما نقول هذه العبارات فى حضرة الله ، نتذكر ما ينبغى أن نعمله ، ونجد فى أعماقنا دافعاً داخلياً يدفعنا إلى تنفيذ ما نقول . تماماً كما نقول فى الصلاة الربية : « إغفر لنا ... كما نغفر نحن أيضاً » وربما نكون فى الواقع لا نغفر . ولكنها ناحية تعليمية . فعندما نقول هذا تبكتنا ضمائرنا ، لكى نفعل حسبما نصلى ... قائلين : « يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش » .

لاحظوا أن اللسان الغاش أخطر من الشفاة الظالمة . لأن الشفاة الظالمة مكشوفة وظاهرة . معروف أن فلان قال كلمة شتيمة أو تهمة ظالمة . أما اللسان الغاش ، فإنه يتوارى وراء المحبة والإخلاص ، و يلبس ثياب الحملان . ولذلك فهو أكثر خطراً . ومن أجل هذا بعد أن قال المرتل : « نج نفسى من الشفاة الظالمة واللسان الغاش » رجع إليه مرة أخرى وقال : « ماذا تعطى وماذا تزيد بإزاء اللسان الغاش ؟! » ...

لاحظوا أيضاً أن هذا المرتل ، كلما يصعد ، وكلما يقترب من ديار أورشليم ومن هيكل الرب ، حينئذ تقوى روحه وترتفع معنو ياته ...

فى أول درجة كان يقول : « يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش » . ولما طلع إلى فوق ، ورتل مزامير أخرى ، إستطاع أن يقول : « على ظهرى جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم . الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة » (مز١٢٩ : ٣) متأكداً أن أعداءه سيبيدون بمعونة الله ... لقد جرب معونة الله ولمسها فى طول الطريق الروحى .

إنه حالياً يقول فى المزمور : « يارب نج نفسى » أنا خائف ومرتعد « سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية » . ولكنه ما أن يرتفع فى المصاعد إلى أورشليم ، حتى يقول : « المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون ، ولا يزول إلى الابد » (مز ١٢٥ : ١) .

إبتدأ يشم نفسه ، ويشعر أن ربنا بيشتغل معاه ...

لكن إحنا دلوقتى لسه فى أول درجة . والمرتل شاعر بضعفه . بيقول لربنا : يارب خلى بالك منى دا أنا لسه صغير ، ولسه ضعيف ، ومش قد الناس دول . « يارب نج نفسى من الشفاة الظالمة ومن اللسان الغاش » . ثم يقول وكأنه يخاطب نفسه :

ماذا تعطى وماذا تزاد بإزاء اللسان الغاش ؟!

بماذا ينفعك هذا اللسان الغاش ؟ وبماذا يفيدك ؟! عندما يتملقك الناس أو يمدحونك ، ماذا تعطى حينئذ وماذا تزاد ؟! لماذا يضطرب قلبك أمام كلمة المديح ، ولا تحتملها ؟ وأنت تعرف أنها كلمة غش ، قد أملتها السياسة أو المجاملة . أو ربما الذى يكلمك يعرف أنك تحب هذا الكلام الحلو ، فقدمه إليك لكى يضحك عليك ...

وأخطر ما فى الأمر أن يغير الإنسان أسلوبه فى الحياة . من أجل اللسان الغاش ومديحه ، أو خوفاً من الإنتقاد !...

قد تلبس الفتاة ملابس لا تقبلها الحشمة مطلقاً ، لكن يقول لها اللسان الغاش إنها [عصرية] ، أو لكى لا توصف بأنها متأخرة لا تساير الموضة !! وقد يضحك إنسان على كلام لا يليق ، حتى يوصف بأنه لطيف يفهم النكتة ويستذوق المرح !! وقد يدخل فى بيته بعض آلات الترفيه المعثرة ، حتى لا يُقال إن بيته ناقص فى أثاثه ، وحتى لا يُقال عنه إنه متأخر ! بماذا تضرك يا أخى كلمة [متأخر] ؟ وماذا تعطى وماذا تزاد عندما توصف بأنك رجل [عصرى] ومعروف أننا فى عصر مادى فاسد ؟!

تذكر أن الكتاب يقول : « لا تشاكلوا هذا الدهر » (رو ١٢ : ٢) أى لا تصيروا شكله ، بل إحتفظوا بشكلكم الروحى وطابعكم السامى ... إن اللسان الغاش يريد أن يزحف داخل الكنيسة أيضاً وينادى بتطوير الدين !! طبعاً توجد فى الدين عقائد وروحيات ومثل وأخلاقيات لا يمكن أن تتغير ... وهنا يسأل اللسان الغاش فى خبث : [وهل يبقى الدين جامداً ؟] . سؤال مثير ... ولكننا نجيب بأن الدين ليس جامداً . إنه واسع يملأ

الدنيا كلها ، و يعلو على كل شيء .

ونحن نقبل كل تطور ، على أن يكون هذا التطور خاضعاً لمبادىء الدين ، ولا يكون الدين خاضعاً للتطور. فللدين القيادة . إننا لا نتأثر باللسان الغاش ــ مهما كان مثيراً ــ ولا نغيّر روحياتنا أو عقائدنا بسببه . ماذا نعطى وماذا نزاد بإزاء اللسان الغاش .

على أن اللسان الغاش قد يأتى بأسلوب آخر ، و يقول :

لماذا أنت خائف من الخطية ؟ لماذا لا تواجهها وتكون شجاعاً ؟ إذن فأنت جبان وضعيف وخائف ! كن رجلاً ، وتقدم وجرب ...

لا يا أخى ، إحترس من هذا اللسان الغاش . فليس كل شيء يمكن أن تجربه . بل الحكمة أن تنتفع بخبرات غيرك وتجارب السابقين . هل يعقل أن تجرب السم ، لتعرف أهو يقتل ويميت أم لا . لقد قال الرسول : « أما الشهوات الشبابية ، فاهرب منها » (٢ تى ٢ : ٢٢) . لا تغتر باللسان الغاش إذا قال لك : [أنت بطل ، لأنك ترمى نفسك فى النار ولا تحترق] ! كلا ، فإن

الكتاب المقدس يقول عكس هذا ، فيسأل فى إستغراب : « أيأخذ إنسان ناراً فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟! أو يمشى إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه ؟! » (أم ٦ : ٢٧ ، ٢٨) ... ولا تظن الهروب جبناً . فإن يوسف لم يكن جباناً حينما هرب من إمرأة فوطيفار . بل كان مثالاً للطهر . إحترس إذن من اللسان الغاش ، ومن أقواله الخاطئة عن الرجولة والشجاعة .

فاللسان الغاش قد يصور لك القوة فى غير موضعها ... قد يقول لك : كن رجلاً ، ولا تقبل أى خدش لكرامتك : الكلمة تردها بعشرة ، والإهانة تردها بقلمين ! أو قد يقول : [لماذا تتسامح مع فلان ؟! إنه بهذا لا يقيم لك وزناً ولا كرامة . فكن شديداً معه ، ولا تتراخ . موقفك سليم] !! إنه لسان غاش فاحترس منه . لأن عمق الكرامة أن تكون فى صورة الله المحب المتسامح الذى يغفر للكل . وعندما تتحمس لكرامتك ، إنما تكون ضعيفاً مغلوباً من كبريائك !

وإن كرهت اللسان الغاش فى الآخرين ، فاكره أيضاً فى نفسك . قل لنفسك ماذا تعطى وماذا تزاد بإزاء اللسان الغاش ؟ أية فائدة تعود على نفسى إذا تملقت إنساناً ، أو غششته سعياً وراء

رضاه ؟ إنما يهمنى أن أرضى الله . أما الناس فلا يمكن أن أرضيهم بالغش على حساب المبادىء . « لو كنت بعد أرضى الناس ، فلست عبداً للمسيح » (غل ١ : ١٠) . يا ليتنا كلما نقول هذا المزمور ، تبعد نفوسنا عن الغش وعن الرياء ...

إن الكتاب المقدس يصف اللسان الغاش بالسهم القتال .. فيقول النبى : « لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش . بفمه يكلم صاحبه بسلام ، وفى قلبه يضع له كميناً » (إر ٩ : ٨) . ويقول داود : « أسنان أبناء البشر سلاح وسهام ، ولسانهم سيف مرهف » (مز ٥٧ : ٤) . ولذلك فإن المرتل عندما تذكر هذه السهام المرهفة ، صرخ إلى الله قائلاً :



إنه يطلب معونة من الرب ، لأن أعداءه أقوياء ، وسهامهم مرهفة ، أى حامية وقاتلة .

ودائماً أولاد الله المتضعون يعتقدون فى أنفسهم أنهم ضعفاء . ويعرضون ضعفهم أمام الله ، طالبين منه قوة ضد الشياطين ...

القديس الأنبا أنطونيوس ، عندما كانت الشياطين تحاربه ، كان يقول لهم فى إتضاع : [أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا الضعيف ؟!] . وكان يقول لهم أيضاً : [أنا ضعيف عن مقاتلة أصغركم] يعنى أنا مش قدكم ...

وداود النبى كان يقول لله : « إن الغرباء قاموا علىّ ، والأقوياء طلبوا نفسى . ولم يسبقوا أن يجعلوك أمامهم » (مز ٥٤ : ٣) .

ونحن هنا نقول للرب : هؤلاء الشياطين أقوياء ، ولكنك أنت أقوى ، فاعطنا قوة من عندك ، لكى نحاربهم بها .

هؤلاء الأقوياء ، يوجهون سهامهم إلى النفس . وسهامهم مرهفة قوية مسنونة ... ولكن ما معنى « مع جمر البرية » ؟

والذى جرب فيكم السير فى البرية ، أى فى الصحراء ، وبخاصة فى وقت الظهر ، يعرف كيف تكون الأرض ملتهبة تحت قدميه ، تشويهما . إن كان حافياً هارباً من عدوه . وما أسهل أن نسمى الحصى الملتهب فى الصحراء ، والزلط وحبات الرمل المتقدة ، بأنها : « جمر البرية » ... وأحياناً لا يستطيع الإنسان أن

يسير عليها أو يجلس عليها من شدة اتقاد حرارتها . وأعرف أعرابياً فقد بصره من جمر البرية .. ولكن المرتل يصف هنا حالة أصعب .

حالة إنسان هارب فى البرية من عدوه ، يكوى جمر البرية قدميه ، وفى نفس الوقت تلاحقه سهام الأقوياء المرهفة ... فيتجه إلى الله ، إذ لا يوجد معين له فى هذه المحنة سواه ، صارخاً قائلاً : « سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية » .

ولكن إن كنت يا أخى تشعر بهذه الآلام ، فاحترس فى صلاتك لئلا تكون سهامك أنت أيضاً مرهفة على عدوك .

إن كنت تطلب من الله أن ينجيك من السهام المرهفة ، فلا تكون لك سهام مرهفة توجهها إلى الناس ، سواء بلسان قاس يشوه سمعتهم أو يجرح شعورهم ، أو بمعاملة قاسية تؤذيهم ، أو بمطاردة لهم فى حياتهم أو فى أرزاقهم أو فى عملهم ... إحذر لئلا يصرخ إنسان إلى الله بسببك ، طالباً أن ينجيه الرب منك ومن سهامك المرهفة التى تشبه جمر البرية هى أيضاً .

عندما تصلى هذه الصلاة ، إسأل نفسك : هل أنا ضعيف أم قوى ؟ هل أنا من الأقوياء أصحاب السهام المرهفة ، أم من

الضعفاء المساكين بالروح ، النائحين الودعاء ، المطرودين من أجل اسمه ؟

إحترس لنفسك لئلا تكون من الأقوياء أصحاب السهام المرهفة ... تذكر أن الله إختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء (١كو١ : ٢٧) . إن كنت من الأقوياء المعتدين بقوتهم ، المستخدمين قوتهم فى قهر الآخرين ، فاحذر لنفسك لئلا يطالبك الله بما فعلت سهامك بغيرك ..

شيء آخر تتذكره عندما تصلى قائلاً : « سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية » ، وهو أن تطلب من الرب معونة تواجه بها هؤلاء الأقوياء ، وأيضاً أن تكون على الدوام فى حالة إستعداد وإحتراس .

إن كان عدوك قوياً وسهامه مرهفة ، فيجب عليك أنت أن تحترس وتستعد ، وتهتم بنفسك ، ولا ترم روحك إلى التهلكة . لأنه يقال عن الخطية إنها : « طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء » (أم٧ : ٢٦) ... فاحترس يا أخى وخف ، لأن الرسول يقول : « مَنْ يظن أنه قائم ، فلينظر لئلا يسقط »

(١ كو١٠ : ١٢) . مادامت الخطية سهامها مرهفة ، وقد طرحت كثيرين جرحى ، فلا تغتر إذن بقوتك ، وإنما إحترس لنفسك ، وابعد عن مواضع الخطر. ابعد عن مادة الخطية . ابعد عن كل إنسان يقاتلك به العدو. « أما الشهوات الشبابية فاهرب منها » .

إن الرسول يقول : « إصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد يزأر ، يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو» (١ بط ٥ : ٨) ، فاحترس يا أخى إذن واستعد : إستعد بالجهاد الكثير، واستعد بالإيمان القوى والإلتجاء إلى الله . وتسلح لأن القديس بولس الرسول يقول إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ... بل مع أجناد الشر الروحية (أف ٦ : ١٢) . من أجل هذا يجب أن تلبس سلاح الله الكامل لكى تقدر أن تقاوم فى اليوم الشرير سهام الأقوياء المرهفة .

لابد أن تواجه سهام العدو ، بأسلحة روحية قوية ...

عندما تخرج إلى الطريق فى الصباح ، واجه عثرات الطريق بصلوات قوية مستمرة . لا تصرخ قائلاً : «سهام الأقوياء مرهفة» وأنت تارك سلاحك ورافض أن تستخدمه ! إن الله قد

أعطاك درعاً قوياً ، وأعطاك أسلحة تستطيع بها أن « تطفىء جميع سهام الشرير الملتهبة » (أف ٦ : ١٦) . فلماذا لا تستخدم أسلحتك ؟!

أنا متعجب منك يا أخي جداً ! كيف تعترف بأن سهام الأقوياء مرهفة ، ومع ذلك أراك خارجاً من بيتك بغير صلاة ، بغير إنجيل ، بغير تأمل ، بغير مطانيات ، بغير صراع مع الله !!

قبل أن تخرج من بيتك ، مثلما تهيىء ملابسك وأدواتك ، هيىء أيضاً أسلحتك الروحية . قل له : مادامت سهام الأقوياء مرهفة ، فأنا لابد يارب أن أتسلح بأسلحتك قبل أن أخرج . أتسلح بكلمة الله القوية التي هي أمضى من كل سيف ذي حدين (عب ٤ : ١٢) . أتسلح بالإيمان ، أتسلح بالصراع مع الله ، أتسلح بالإتضاع الذي يغلب الشياطين .

« سهام الأقوياء مرهفة مع جمر البرية » . إن المرتل عندما تذكر هذه الحروب الخارجية ، وعندما تذكر الخطية الرابضة ، وتذكر الشفاة الظالمة واللسان الغاش ، وتذكر هجمات العدو وقوته ، صرخ بعد هذا قائلاً :

ويل لى فإن غربتى قد طالت علىّ ...

« ويل لى ، فإن غربتى قد طالت علىَّ ، وسكنت فى مساكن قيدار. طويلاً سكنت نفسى فى الغربة » .

« ويل لى » . إنها صرخة إنسان شاعر بسوء حالته .

لا تنتظر يا أخى إلى أن يقول لك الرب : « ويل لك » ، كما قالها للكتبة والفريسيين . وإنما قلها لنفسك أولاً ... ما أجمل قول القديس مقاريوس الكبير : [أحكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك » ...

لا تنتظر حتى تسمعها كما قيلت للمدن التى لم تتب : « ويل لكِ يا كورزين ، ويل لكِ يا بيت صيدا » (مت ١١ : ٢١) . بل إسرع أنت وقل لنفسك : « ويل لى فإن غربتى قد طالت علىَّ ، وسكنت فى مساكن قيدار » . أنا متغرب عن الله مدة طويلة . فإلى متى سأبقى فى هذه الغربة ؟!

ولكن ما معنى مساكن قيدار؟

قيدار هذا كان من بنى إسماعيل (تك ٢٥ : ١٣) . وكانت مساكن بنى قيدار بعيدة . ولما ذهبوا إلى السبى ، إختلطوا بالناس هناك ، وسكنوا فى مساكنهم ، ومساكن قيدار كانت خياماً سوداء مصنوعة من شعر الماعز الأسود . لذلك فإن المغنى يقول فى نشيد الأناشيد : « سوداء .. كخيام قيدار » (نش ١ : ٥) .

فالمرتل هنا عندما يذكر خيام قيدار ، إنما يذكر بُعدها ، وضلالها ، وخلطتها بالأمم ، وغربتها عن شعب الله ...

يقولها ، وهو يشعر بسوء حالته ، ويوبخ ذاته أمام الله ، ويصب عليها كل الويلات ... وأنتم أيها الإخوة الأحباء ، هل مايزال أحد منكم ساكناً فى خيام قيدار . إن كنتم هناك فاسرعوا وأخرجوا ، وإرجعوا مرة أخرى إلى أورشليم . لئلا تبكوا على أنهار بابل ، وتعلقوا قيثاراتكم على الصفصاف ...

« ويل لى ، فإن غربتى قد طالت علىَّ » . إن الذى يبعد عن الله ساعة واحدة يتعب ، فماذا أفعل أنا الضال الذى بعدت

عنه شهوراً وسنوات ، ماذا أفعل ؟! « و يل لى » . إنها صيحة إنسان يطلقها من بعيد ، وهو لا يشعر بالصلة بينه و بين الله ، ولا بالدالة التى كانت له معه منذ زمان . لا دالة ، ولا صلة ، ولا حرارة ، ولا روحانية ...

وكل دقيقة تمر فى هذه الغربة كأنها دهر طويل . لذلك يصرخ المصلى قائلاً : « طو يلاً سكنت نفسى فى الغربة » .

إنه إما طول فى المدة ، أو شعور بطول المدة لقسوة البعد وفتور القلب . يعترف المصلى بهذا وهو حزين ، و يعترف بهذا وهو ثائر على الخطية التى أبعدته عن الله . وكأنه يقول : أنا لا أستطيع مطلقاً أن أستمر فى هذا الوضع . كفى هذه الغربة ، وكفى هذه المدة . أريد أن أبدأ من الآن ، فأصطلح مع الله ... لأن البعد جفوة ، وو يل لى إن بقيت فيه ....

لعل بعض القديسين عندما يقولون هذه العبارة ، لا يقصدون غربة الإنسان عن الله فى حياة الخطية ، وإنما غربتهم فى الجسد . وكما قال بولس الرسول : « فإذن نحن واثقون كل حين ، وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد ، فنحن متغر بون عن

الرب ... » (٢ كو ٥ : ٦) . فهو يريد أن ينطلق من هذا الجسد ، و يلتصق بالرب : « لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، فهذا أفضل جداً » (فى ١ : ٢٣) . و يل لى ، فإن غربتى قد طالت علىّ . إلى متى يارب أظل فى سجن هذا الجسد ؟ وإلى متى تظل روحى سجينة المادة ؟ أريد أن أنطلق والتصق بك . « طويلاً سكنت نفسى فى الغربة ، ومع مبغضى السلام كنت صانع سلام ... » .

ومع مبغضى السلام ، كنت صانع سلام :

إن هذه العبارة ترينا مسيحية هؤلاء القديسين الذين عاشوا فى العهد القديم ، وكيف كانوا يعيشون بالمبادىء الجميلة التى نادى بها السيد المسيح من جهة محبة الأعداء والإحسان إلى المسيئين . يقول المرتل : « ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام . وحين كنت أكلمهم ، كانوا يعادوننى باطلاً » . ومع أنهم كانوا يعادوننى باطلاً ، إلا أنى كنت معهم صاحب سلام !

كان شاول الملك يضطهد داود ، ومع ذلك كان داود بكل محبة يعامل شاول ويحترمه ، و يقول : « لا أمد يدى إلى سيدى ،

لأنه مسيح الرب » (١صم ٢٤ : ١٠) . حتى إستطاع داود بهذه الروح أن يجعل عينى شاول القاسى تتفجران بالدموع . و يقول له شاول : « أنت أبر منى . لأنك جازيتنى خيراً ، وأنا جازيتك شراً » (١صم ٢٤ : ١٦ ، ١٧) .

وعلى الرغم من مطاردة شاول لداود بعد هذا ، كان داود صاحب سلام فلم يضر شاول عندما وقع فى يديه ، بل على العكس إستبقى له حياته ووبخ أبنير قائد جيش شاول قائلاً لماذا لم تحرس سيدك الملك ؟.. ليس حسناً هذا الأمر الذى عملت . حى هو الرب أنكم أبناء الموت أنتم ، لأنكم لم تحافظوا على سيدكم ، على مسيح الرب » (١صم ٢٦ : ١٥ ، ١٦) .

عندما تتذكر هذا وأنت تصلى ، تذكر أيضاً قول الرب : « إن أحببتم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ .. إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ » (مت ٥ : ٤٦ ، ٤٧) « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون » (مت ٥ : ٩) .

فإن أتاك إنسان ، وقال لك إن فلاناً عمل كذا وكذا ، فقلت له أنت : [أنا أيضاً أعرف عنه أكثر من هذا بكثير. إنه عمل

وعمل] . لو قلت هذا ، فكأنك تزيد النار إشتعالاً ، وبالإشتراك مع محدثك ، إنما تضيعان هذا الإنسان الذى تنحلان وبره ..

أما أنت فقل : [ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام . أنا كلما أرى ناراً متقدة أطفئها] . فهل أنت حقاً كذلك ؟

أم أنت إن وجدت ناراً تضع عليها فحماً وكبريتاً ، وتصب عليها الجاز والبنزين ، وتزيد النار إلتهاباً ، وتفرح بها كما فرح نيرون .

لا يا أخى حاشا أن تكذب على الله فى صلاتك ... **بل عندما تقول له فى الصلاة : « ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام » اتخذ هذا مبدأ لك تنفذه عملياً فى حياتك .**

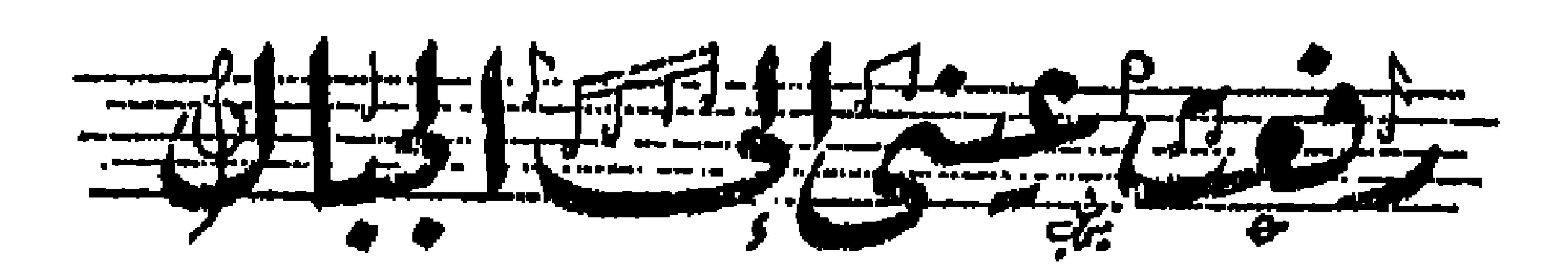
مع الذين يثيرون المشاكل ، كن صاحب سلام . مع الذين يتكلمون فى سيرة الناس ، كن صاحب سلام . مع الذين يعادونك باطلاً ، كن صاحب سلام ... وإن كنت مع كل هؤلاء تتصرف هكذا ، فبالأولى لا تبدأ أنت فى تعكير السلام . لا توصل كلمة تسىء إلى علاقة إنسان بشخص آخر .. ولا تفسر تصرفات الناس

وأقوالهم تفسيراً يفسد العلاقات .. وإن وجدت بـابـاً مفتوحاً للصلح ، فلا تعمل على إغلاقه ، ولا تعقد الأمور...

وإن كنت مع مبغضى السلام صاحب سلام ، فمن باب أولى كن مع المسالمين مسالماً . لا تستغل طيبة إنسان وتواضعه لتشتد عليه ، وتتعالى ، فتضيع السلام الذى بينكما .

وطوبى لصانعى السلام ، فإنهم أبناء الله يدعون .





مز ١٢١ (١٢٢)

« رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى . معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض .

لا يسلم رجلك للزلل . فما ينعس حافظك . هوذا لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل . الرب يحفظك .

الرب يظلل على يدك اليمنى . فلا تحرقك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل .

الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك . الرب يحفظ دخولك وخروجك ، من الآن وإلى الأبد . الليلويا .

فى المزمور السابق شعر المرنم أنه بعيد عن الله ، فقال : « و يل لى فإن غربتى قد طالت علىّ وسكنت فى مساكن قيدار » . فماذا يعمل الشخص الغريب الشاعر بغربته ؟ يبدأ فى أن يتجه إلى الله فيقول :



أول خطوة تخطوها فى طريقك إلى الله ، هى أن تتجه إليه لكى تأخذ منه المعونة ...

إن الجبال لها تأثيرها الكبير فى حياة الناس الروحية :

فى الكتاب المقدس نرى الجبل له تاريخه الطويل . وغالبية البركات لها إتصال بالجبال . السيد المسيح نفسه له علاقته الواضحة بالجبل . وما أجمل قول يوحنا الرسول فى إنجيله :

« ومضى كل واحد إلى بيته . أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون » (يو٧ : ٥٣) ... كان الرب يقضى غالبية الأوقات فى الجبل ، يسهر فى الجبل ، و يصلى فى الجبل ، يختلى فى الجبل .

إن الجبل يعطى للإنسان إنطلاقاً فى عبادته : يا ليتكم تفكّرون أن تتمتعوا بالجبال ، وما أروع قول مار إسحق : [إن مجرد نظر القفر، يميت من القلب الحركات العالمية] . فعندما يعيش الإنسان فى العالم ، ينشغل بمناظر العالم وأخباره وأعماله . أما فى الجبل ، فإذ لا يشغله شيء ، يتفرغ حينئذ لله . كذلك الجبال فى علوها تعطى فكرة عن السماوات ، لذلك يقول المرتل :

رفعت عينى إلى الجبال :

إلى أى الجبال رفعت عينيك ؟ فالجبال لها تاريخها العظيم فى الكتاب المقدس .

* هل رفعت عينيك إلى جبل جرزيم ، جبل البركة ؟ إذ كان ستة أسباط يقفون عنده ، وتتلى البركة على الشعب من هناك .

* أم أنت ترفع عينيك إلى جبل الزيتون ، جبل الصلاة والتأمل والإنسكاب أمام الله .

* أم أنت ترفع عينيك إلى جبل الجلجثة ؟ وهو يمثل الفداء ومحبة الله للناس إذ « هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد » ...

* أم تتجه إلى جبل التجلى ؟ حيث يرى السيد المسيح مع موسى وإيليا وهم فى النور البهى رمزاً للمجد الأبدى ! موسى الذى

ينوب عن المتزوجين ، وإيليا الذى ينوب عن البتوليين . موسى الذى ينوب عن الودعاء ، وإيليا الذى ينوب عن الأقوياء . موسى الذى ينوب عن حياة الخدمة ، وإيليا الذى ينوب عن حياة الوحدة والبرية ...

* أم أنت تتجه إلى جبل الصعود ؟ حيث نرى فيه المصير إلى الرفعة ، عن يمين الآب .

* أم تتجه إلى جبل حوريب ؟ حيث قضى موسى فترة مع الرب ، مشيراً إلى حياة العشرة مع الله التى إكتسى فيها وجهه بنور لم يستطع الشعب أن ينظر إليه .

* أم تتجه إلى جبل سيناء ؟ حيث الشريعة وحيث وصايا الله . أم إلى الجبل الذى ألقى عليه المسيح عظته حيث رفع أفكارنا إلى عمق الروحيات .

* أم تتجه إلى جبل التجربة ؟ الذى يمثل الإنتصار على الشيطان وكل أفكاره .

* أم تتجه إلى جبل أراراط حيث رسا فلك نوح ، رمزاً للاستقرار ورمزاً للسلام ؟

أنا لم أرفع عينى إلى جبل معين . إنما رفعت عينى إلى الجبال ، إلى هذه كلها ، إلى كل البركات .

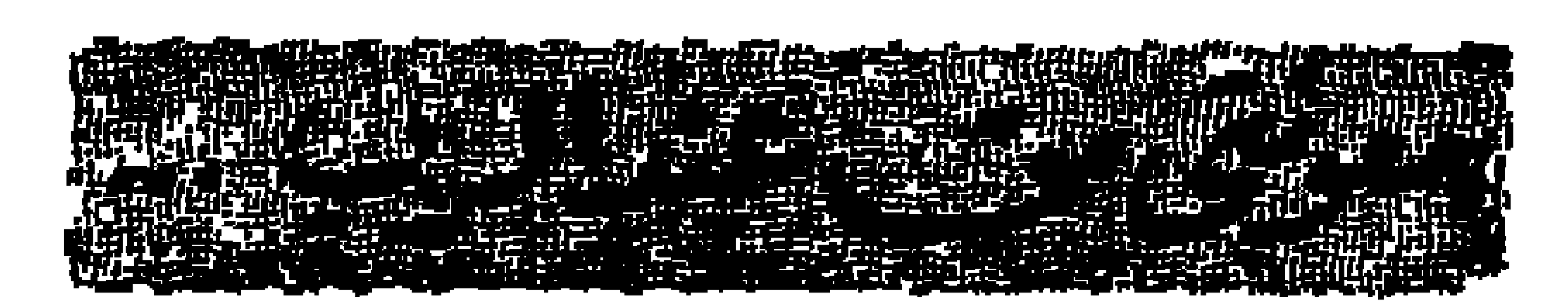
كل شخص يقف ليصلى ويقول : « رفعت عينى إلى الجبال ، لعل تأملاته تقدم له قصة جميلة عن كل جبل : جبل للبركة ، وجبل للشريعة ، وجبل للسلام ، وجبل للفداء ، وجبل للعشرة مع الله ... صحيح .. «أساساته فى الجبال المقدسة» (مز٨٦ : ١) . وصحيح أيضاً ما قالته العروس فى النشيد من أنها رأت الرب الإله : «ظافراً على الجبال ، قافزاً على التلال» (نش ٢ : ٨) .

يرفع الإنسان نظره إلى الجبال ، بعيداً عن صخب العالم ، وعن ضجيج العالم وشهواته ، و يسرح فى اللانهائية ، فى الأفق البعيد الذى لا ينتهى ، والذين ينظرون إلى الجبل يكون نظرهم قو ياً . نظرنا ونحن فى العالم يضعف لأن بصر الإنسان كل ما يمتد يجد أمامه حائطاً يعوقه ويمنع إمتداده إلى قدام . أما الذى ينظر إلى الجبال ، فإن نظره يمتد إلى الأفق البعيد ، و يصبح إنساناً قوى النظر بعيده ، يرى من بعيد ، رمزاً للرؤية الروحية ...

« رفعت عينى إلى الجبال » هل إلى هذه الجبال كلها ؟ لعل المرتل يقصد الجبال المحيطة بأورشليم ، لأنه يقول فى مزمور بعد ذلك : « الجبال حولها ، والرب حول شعبه » (مز١٢٤) . و بينما المرتل فى أرض الغربة إلاَّ أنه يشتاق إلى أورشليم ، و يرفع عينيه إلى الجبال المحيطة به .

وأنت يا أخى ، ألم تحس ذات يوم بالغربة ، وترفع عينيك إلى الجبال ؟ أم أنت ماتزال تنظر إلى الوادى العميق ، إلى الأرض والطين والمادة ؟ ... من الآن إرفع نظرك إلى فوق ، إرفع نظرك إلى الجبال من حيث يأتى عونك ... يقيناً أن المرتل يدرك تماماً من أين تأتيه المعونة . هو يعلم أن المعونة لا يمكن أن

تأتيه من الأرض ، فلذلك رفع نظره إلى فوق وقال :



أنا يارب أريد أن أصل إليك ، إننى أنشد هذه الترنيمة من ترانيم المصاعد التى يقولها الناس وهم صاعدون إلى أورشليم ... أنت الذى تقدر أن ترشدنى وتوصلنى ... معونتى من عند الرب الذى صنع السماء والأرض .

أنا لا أتكل على ذراع بشرى فى أى شىء . لأن « الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء » (مز١١٧) ... حقاً ملعون مَنْ يتكل على ذراع بشر ... ففى كل ضيقة تصيبنى فى العالم أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى ، لا إلى الناس . إن ربنا نفسه ، من أجل صالح الناس . نظر إلى الناس . فلم ينظروا إليه !! لذلك قال : «« طول النهار بسطت يدى إلى شعب مقاوم ومعاند » (إش ٦٥ : ٢) ... إن كان الله ينظر إلى الناس فلا يستجيبون له فماذا يفعلون معنا ؟ إن كانوا قد فعلوا ما فعلوه بالعود الرطب ، فماذا يفعلون بنا ؟

معونتى من عند الرب ... حتى لو تقدم الناس وعاونونى ، يكون الله هو الذى سخّر هؤلاء الناس من أجلى. هو الذى تكلم فى قلوبهم من جهتى ، إنه هو الذى صنع السماء والأرض ، ومازال فى يده السماء والأرض إن كان يرسل ملاكاً لمساعدتى ، فهو الذى صنع السماء . وإن كان يرسل بشراً لمساعدتى فهو الذى صنع الأرض .

وعندما تقول الذى صنع السماء والأرض ، تتذكر قوة الله . وإن كان عمل السموات والأرض أفلا يستطيع أن يعمل معك عملاً ينقذ حياتك ؟! إن معونته غير محدودة . معونته أكثر مما نحتاج ، وأكثر مما نطلب ، وأكثر مما نتوقع ومما ننتظر . الذى يتكل على الإنسان قد يخيب إتكاله . أما الذى يتكل على الرب فلن يخسر . يقول المرتل : « اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق و يتمنع » (أم ١٣ : ١٠) بعدما ألقوا دانيال فى جب الأسود أتى الملك (داريوس) إلى الجب باكراً جداً ليرى هل إتكال دانيال على الله إستطاع أن ينجيه . وقال له بصوت أسيف : « يا دانيال عبد الله الحى ، هل إلهك الذى تعبده دائماً قدر أن ينجيك من الأسود » (دا ٦ : ٢٠) . فأجاب دانيال

وقال : « إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود » ... حقاً ، إن معونتى من عند الرب .

وأنت يا أخى فى كل مشاكلك ـ روحية كانت أم مادية ــ قل هكذا أيضاً : « معونتي من عند الرب » .

إن تعرضت لحرب من الشياطين ، أو حرب من الناس الأشرار ، قل معونتى من عند الرب . إن كنت متعباً من خطية ، أو من مشاكل مادية ، قل معونتى من عند الرب . إن كنت متعباً من أفكار وشهوات ، أو أحلام ، قل معونتى من عند الرب الذى صنع السموات والأرض .

إن المرتل عندما قال هذا ، أتته إجابة سريعة «لا يسلم رجلك للزلل . فما ينعس حافظك . هوذا لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل» .

اطمئن ، إن الله لا يسلم رجلك للزلل ، أى لا يسمح أن تسقط . مادمت تقول معونتى من عند الرب فلن يسلمك الرب لأيدى الأعداء . كثيرون يحاولون أن يجلبوا اليأس إلى نفسك و يقولون ليس له خلاص بإلهه . ولكن هذا المزمور يعطى رجاءاً .

ويعطي سلاماً ، ويعطي إطمئناناً . لا تخف إذن ، إن حافظك لا ينعس ولا ينام .

إن إتكلت على إنسان ، فسيأتي وقت على هذا الإنسان ينعس فيه وينام ، وفي أثناء نومه لا يكون حافظاً لك . أما الرب إلهك الذي يحفظك فهو لا ينعس ولا ينام .

إن كنت في ضيقة ، أوعى تفكر إن ربنا نايم ومش واخد باله . بل تأكد تماماً أن الله يرى كل شيء يحدث ، ويكتب أمامه سفر تذكرة .

في إحدى المرات كان تلاميذ المسيح مضطربين في السفينة وعندما هاج البحر عليهم ، وظنوا أن الرب نائم في مؤخرة السفينة ! فأيقظوه وقالوا له : « أما يهمك أن نهلك » (مر ٤ : ٣٥ ـ ٤٠) . ولم يكن الرب نائماً . بل في ذلك الوقت الذي رأوه فيه نائماً بالجسد ، كان بلاهوته يحفظ البر والبحر ، ويسيطر على السماء والأرض . ولكي يثبت لهم هذا قام وانتهر الريح وقال للبحر : « إسكت وابكم ، فصار هدوء عظيم » .

إن الرسول يقول : إن عدونا مثل أسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه . فكيف ينام الله وعدونا ساهر على هلاكنا ؟! بل إن كان العدو ساهراً على هلاكنا ، فيقيناً يكون الله ساهراً على خلاصنا . نكون نحن نياماً ، والرب إلى جوارنا ساهر علينا ، يحرسنا ويحفظنا . إن طبيعته لا تنام ، وطبيعته لا تتعب . وسهره علينا كناية عن عنايته ورعايته ، وعدم تركه لنا ، وعدم تخليه عنا . إنما يريدنا الرب أن نسهر معه .

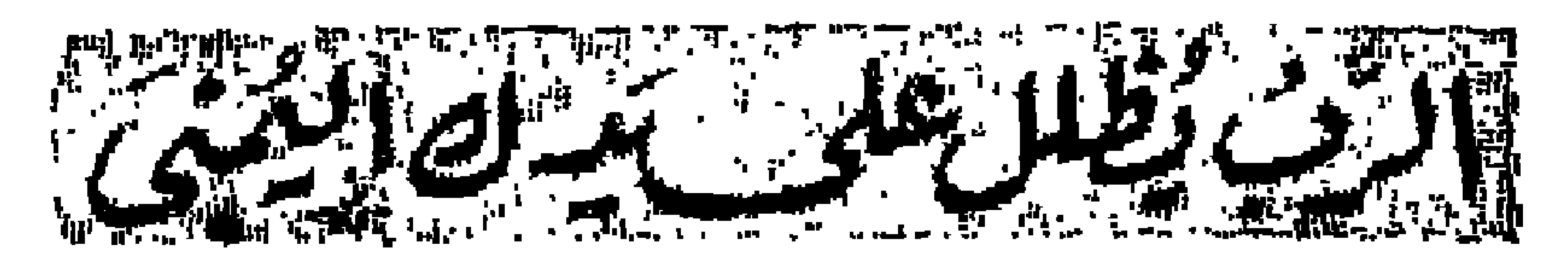


لا يسلم رجلك للزلل ، لا يجعلك تعثر فى الطريق . بل حتى إن وقعت من على الجبل ، يوصى ملائكته بك ، على أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك (مت ٤ : ٦) . فليكن قلبك شديداً . من الأسباب التى تجعلنا نسقط فى الخطية ، يأسنا وشعورنا بأننا لا بد سنسقط . مثل شخص يقول : [لا فائدة من كل جهاد فكلما أتوب أقع ثانية] وهكذا فإن شعوره بأنه سيقع فى الخطيئة يجعله يقع . لذلك فليتشدد قلبك . الرب يقول لك ما قاله من قبل لإرميا النبى : « لا ترتع من وجوههم لئلا أريعك أمامهم . هاأنذا

قد جعلتك اليوم مدينة محصنة ... » (إر ١ : ١٧ ، ١٨) .

إن الله لا يسلم رجلك للزلل سواء فى هذا الدهر أو فى الدهر الآتى . وفى هذا المعنى يقول المرتل : « إرجعى يا نفسى إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إلىَّ ، وأنقذ نفسى من الموت ، وعينى من الدموع ، ورجلى من الزلل » (مز ١١٦ : ٧ ، ٨) . ولأنه أنقذ رجلى من الزلل تستطيع نفسى الآن أن ترجع إلى موضع راحتها بسلام .

إن الله لا يسلم رجلك للزلل ، طالما حياتك فى يده . أما إن أسلمت بنفسك رجليك للزلل ، فإن هذا يكون عمل إرادتك وحدك . إن الله مستعد أن يعينك ، ولكن علينا ألاَّ نهلك أنفسنا بأنفسنا .



لماذا قال اليد اليمنى ؟

إن اليد اليمنى ترمز دائماً للقوة ، كما ترمز للبر . وعندما نقول إن المسيح جلس عن يمين الآب ، إنما نعنى أنه جلس فى قوة

الآب . ولم يعد محتقراً أو مخذولاً من الناس . وهذا هو المقصود بيمين الآب لأن الله إذ هو غير محدود ، ليس له يمين ولا شمال ، بل هو مالىء الكل .

اليمين إذن ترمز للقوة و بهذا المعنى قال داود : « يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتنى . فلا أموت بعد بل أحيا » (مز ١١٧) . وفى سفر الرؤيا سجل يوحنا الحبيب أنه رأى الرب ممسكاً فى يمينه السبعة الكواكب ، أى ملائكة السبع الكنائس (رؤ ٢ : ١٦ ، ٢٠) أى أنهم محفوظين فى قوته .

فعندما يقول لك الوحي فى المزمور : « الرب يظلل على يدك اليمنى » ، إنما يعنى أن الرب يظلل على قوتك . أى أن الرب أعطاك قوة لتنتصر وهو يحفظك فيها . إن الرب أعطاك سلطاناً أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو . لكن قوتك وحدها لا تكفى ، فلابد أن تكون فى رعاية الله وحفظه ، يظلل عليها أى يحفظها ويحميها ، فلا تضربها الشمس بالنهار .

عندما قدم يوسف ابنيه افرايم ومنسى إلى أبيه يعقوب ليباركهما ، وضع يعقوب يمينه على رأس أفرايم الصغير و يساره على

رأس منسى . وضع يديه بفطنة وباركهما . ولما إستاء يوسف من هذا ، لأن أباه وضع يمينه على الابن الصغير وأراد أن يعكس الوضع ويجعل اليمين على البكر منسى ، أجابه يعقوب : « علمت يا ابنى علمت ... ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه » (تك٤٨ : ١٣-٢٠) . حقاً إن وضع يديه عليهما أعطاهما بركة . ولكن اليمين له بركة خاصة أكبر . وهكذا نقول للرب عن الكنيسة : « الكرمة التى غرستها يمينك » ، ولم نقل يدك ، لأن اليمين لها قوة خاصة من حيث الرمز .

وفى حفظ الله لنا ، لم يقل فقط .. لا يسلم رجلك للزلل ، وإنما قال أيضاً يظلل على يدك اليمنى ...

فما معنى كلمة يظلل :

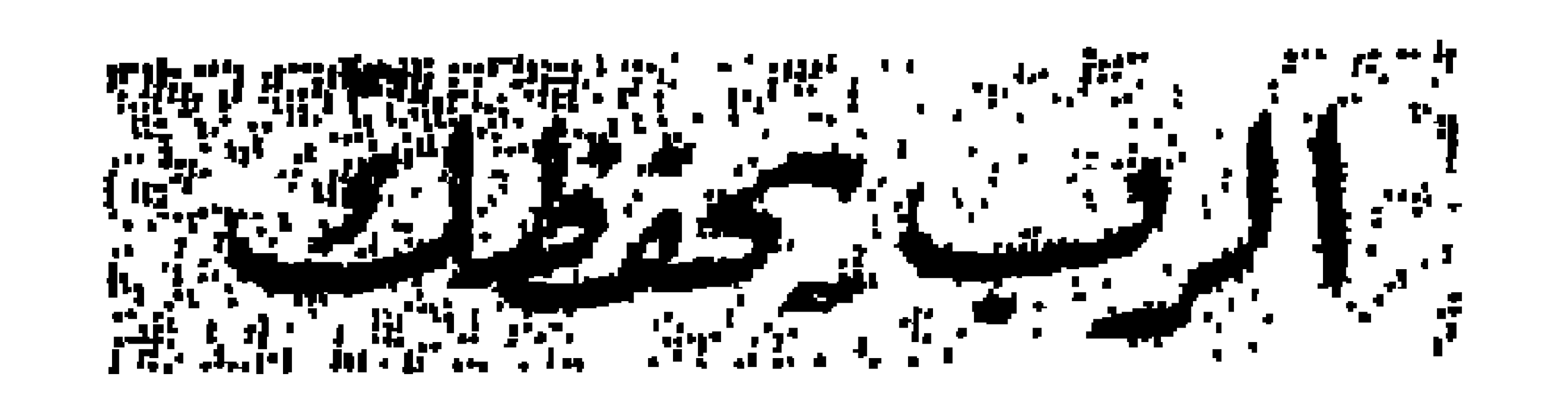
الظل يعنى الرعاية . فقديماً كانوا يعيشون فى الجبل وفى البرية تؤذيهم الشمس و يتعبهم الحر فلابد أن يحتاجوا إلى ظل ليحميهم . ولذلك نحن نقول لله : « وبظل جناحيك أعتصم » (مز١٧ : ٨) . كالدجاجة التى تظلل على صغارها بجناحيها .

ومن أحسن الأمثلة للتظليل بقصد العناية والرباية ، مثل يونان النبى الذى لما ضربته الشمس فذبل . أعد له الرب يقطينة لتكون ظلاً على رأسه لكى يخلصه من غمه (يون ٤ : ٦) . ولما تكلم الرب عن عظمة حبة الخردل قال : « إنها تصير شجرة عظيمة تتآوى تحت ظلها جميع طيور السماء » (مر ٤ : ٣٢) .

إذن فالظل يعنى الحماية والرعاية والشفقة . وبذلك نقول فى المزمور: « الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت » (مز ٩١ : ١) . وتقول العروس فى النشيد : « تحت ظله إشتهيت أن أجلس » (نش ٢ : ٣) أى فى حمايته ورعايته .

ومن الأمثلة اللطيفة أنه قيل للسيدة العذراء فى البشارة : « الروح القدس يحل عليكِ ، وقوة العلى تظللكِ » ، أى ترعاكِ وتحميكِ ، وتحفظكِ ، كما كانت السحابة تظلل على الشعب فى البرية .

فافرح يا أخى إذن بعناية الرب ورعايته : رجلك لن يسلمها للزلل ، ويمينك يظلل عليها ، تعيش فى رعايته وتحت ظله . يظلل على يدك اليمنى ، فكل ما تمتد إليه يدك تنجح فيه .



هذا المزمور يسميه البعض مزمور الحفظ . كلمة الحفظ وردت فيه ست مرات : « الرب يحفظك ... الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ نفسك .. الرب يحفظ دخولك وخروجك » . حقاً إن حافظ الأطفال هو الرب . فاحتفظ بطفولتك وضعفك أمام الرب لكى تحل عليك قوته . كن كطفل عاجز يلجأ لأبيه السماوى ويستظل بجناحيه ، ليحفظك الرب من كل سوء ، ويظلل على يدك اليمنى .

فلا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل :

معروف أن الشمس تضرب بالنهار . يونان ضربته الشمس فذبل وطلب لنفسه الموت ... والقمر بالليل يقول العلماء إن له ضربات هو أيضاً ...

ولكن من الناحية الروحية « لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل » . معناها **لا تقوى عليك حروب النهار، ولا**

حروب الليل ، لا أفكار النهار ولا أحلام الليل ، لا مناظر النهار ولا خيالات الليل .

« لا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل » ، أى لا تقوى عليك الأمور التي تحدث فى النور ، ولا الأمور التى تحدث فى الظلمة . الأمور التى تُرى علانية . والأمور التى تدبر فى الخفاء . الأعداء الظاهرون ، والأعداء المختفون .

« لا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل » أى يحفظك الرب وأنت يقظ ، ويحفظك الرب وأنت نائم . هو معك فى النهار وفى الليل ، أى طول ساعات اليوم . لا تخف من ضربة نور ، ولا من ضربة ظلام . لا تخف من ضربة يمين ، ولا من ضربة شمال .

الرب يحفظك من كل سوء

« الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك » . هذا هو عمله . إن الرب قد إنتهى من عمله فى خلق العالم ، وأصبح عمله الآن أن يحفظ العالم . الرب يحفظك ، فلا تخف إذن ولا

تشك . ولا ترتعب . ولا ترتعب ، إنما عش مطمئناً ، شاعراً أنك لست واقفاً وحدك .

هذا المزمور ينفع المسافرين ، و ينفع الذين يسيرون فى الظلام . أو فى طريق مرعب يخافون منه . يمكنهم أن يرددوا هذا المزمور : « الرب يحفظك ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ دخولك وخروجك ... » كلها حفظ . نصيحتى لكم إذن أن تحفظوا المزامير لكى تحفظكم المزامير .

هذا المزمور مصدر كبير للتعزية . هناك مزامير يمكن أن تصلوها وقت الغروب ، ومزامير تصلونها وقت النوم ... أما هذا المزمور فيمكنكم أن تصلوه فى كل حين .

الرب يحفظك من كل سوء . لا يبعد عنك التجارب ، ولكن يحفظك أثناء التجربة . التجارب موجودة ، والشرور موجودة ، ولكن الرب يحفظك من كل سوء .

الثلاثة فتية ، سمح الرب بالقائهم فى النار ، ولكنه حفظهم داخل النار . إنه لم يبعد عنهم التجربة فألقوهم فى الآتون ، وسار معهم داخل الآتون (دا ٣ : ٢٥) . مادام الأمر هكذا ، فأنا يارب

لم أعد أهتم بشيء . حتى لو ألقيت داخل النار، سأراك معى كما حدث للثلاثة فتية . لاحظوا أيها الإخوة أن الرب لم يكن معهم فقط ، وإنما أكثر من كل هذا « لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم » (دا ٣ : ٢٧) .

ودانيال النبى ، لم يمنع الله القاءه داخل الجب ، لكنه أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود ... حقاً إن الرب يحفظ نفسك ، يحفظك من كل سوء .

ويونان النبى ، سمح الرب للحوت أن يبتلعه ، ولكنه وهو فى جوف الحوت كانت هذه العبارة ترن فى أذنيه : « الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخولك وخروجك » .



وهكذا حفظ الرب دخوله فى بطن الحوت ، وحفظ خروجه من بطن الحوت أيضاً . فما قدرت عليه أسنان الحوت ولا أمعاؤه ولا شىء من أعضائه .

كذلك الثلاثة فتية حفظ الرب دخولهم إلى النار، وحفظ خروجهم منها . ودانيال النبى حفظ الرب دخوله فى جب الأسود وحفظ خروجه أيضاً .

كذلك أنت أيضاً : إن دخلت فى ضيقة من الضيقات ، قل لنفسك الرب يحفظ دخولك وخرجك ... يحفظنى فى دخولى إلى الضيقة ويحفظنى فى خروجى منها . وإن كنت ذاهباً إلى عمل معين ، أو مقابلة أناس مهمين ، قل لنفسك : « الرب يحفظ دخولك وخروجك » وأنت خارج من بيتك ، « الرب يحفظ دخولك وخروجك » .

عمل الله هو أن يحفظك . ولكن ليس معنى هذا أن تضيع نفسك . لا ترم نفسك من على جبل لكى ما تحملك الملائكة . صل باستمرار قائلاً : « لا تدخلنا فى تجربة » . ولكن إن دخلت فالرب يحفظ دخولك وخروجك .

وبولس الرسول دخل السجن ، وكذلك بطرس الرسول دخل السجن ، ودخل معهما أيضاً هذا المزمور يرتل به ملاك فى أذن كل منهما قائلاً : « الرب يحفظ دخولك وخروجك » .

فمهما دخلت فى ضيقة ، ثق أن الله سيدخل معك ويخرجك منها . كما كان الرب مع نوح عندما دخل الفلك وحفظ خروجه منه أيضاً . وكما حفظ موسى فى بيت فرعون ولم تقو عليه الديانة الوثنية ، وكما حفظ يوسف فى بيت فوطيفار ولم تقو عليه الخطية ، وكما حفظ حزقيال ودانيال فى أرض السبى . كما حفظ الرب هؤلاء هو أيضاً يحفظ نفسك .

وعبارة « الرب يحفظ نفسك » فيها تعزية كبيرة . حتى أن تعب الجسد ، تظل النفس محفوظة . وهكذا حدث لأيوب الصديق ، الجسد ضرب بالأمراض ، ولكن الرب حفظ نفس أيوب فلم يقدر عليها الشيطان ، وكذلك الشهداء والمعترفون كانت تقطع أعضاؤهم ، أما نفوسهم فكانت محفوظة فى يد الرب .

إطمئن فأنت فى يمين الرب وفى حفظه ، نفسك على كفه ، ومَنْ يمسك يمس حدقة عينه ... حتى الابن الضال وهو فى كورة بعيدة كان الرب يحفظ نفسه ، وكذلك الخروف الضال حفظه الرب فى دخوله وخروجه .

عبارة « يحفظ دخولك وخروجك » ، يمكن أن تعنى دخولك إلى هذا العالم وخروجك منه ، ويكون معناها أن

يحفظك فى حياتك ومماتك ، و يكون المعنى شاملاً .

وقد تعنى أيضاً بداية عمل ونهايته . وقد قيلت هذه العبارة أيضاً فى قائمة البركات فى سفر التثنية إذ قيل : « مباركاً تكون فى دخولك ومباركاً تكون فى خروجك » (تث ٢٨ : ٦) .

يحفظ دخولك وخروجك من الآن وإلى الأبد ، أى لا يحفظك فى هذا العالم فقط ، وإنما فى طريق الأبدية أيضاً . فعندما تخرج روحك من هذا الجسد (بعد عمر طو يل) .

الرب يحفظ خروجك ، ويحوط عليك من الشياطين أحسن يستلقطوك فى السكة ، كما جروا وراء روح القديس مقاريوس الكبير، و يظل يحافظ عليك إلى أن تدخل الفردوس .

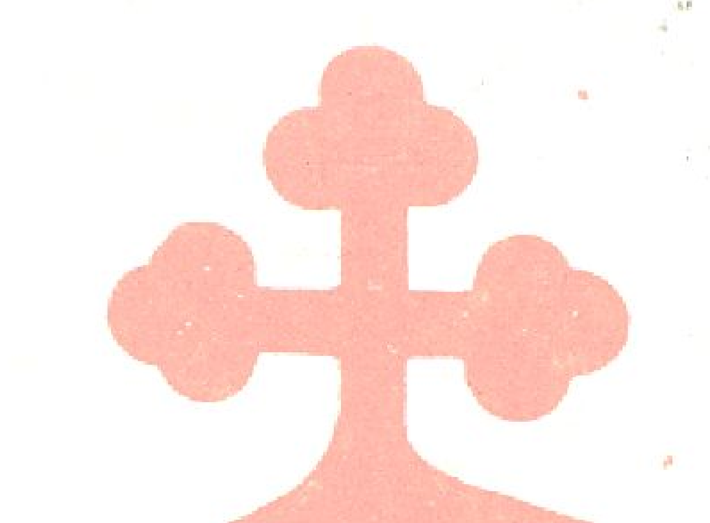
وحتى بعد أن تدخل الفردوس ، الرب يحفظ دخولك وخروجك . لعلك تقول : وما الذى سيخرجنى من الفردوس ، أنا لست مثل آدم المسكين ؟ كلا ، يا أخى . فالفردوس مجرد مكان إنتظار ، سيخرج منه الأبرار لينتقلوا إلى النعيم الأبدى فى أورشليم السمائية .

وعندما تدخل ذلك النعيم ، يكون حينئذ دخولاً بلا خروج ، فيحفظ الرب دخولك إلى الأ بد ...



فهرســـت

صـــفحة



عندما تصلى المزامير، كما صلاها داود ... بنفس العاطفة، ونفس العمق، ونفس الفهم، حينئذ تصعد كل لفظة تصليها من المزامير كأنها رائحة بخور.

كأنها شعاع من نور.

وتدخل إلى حضرة رب المجد ...

جميلة هي المزامير، لمَنْ يفهمها ولكن يحاربها الذين لم يفهموها بعد الذين لم يدخلوا إلى أعماقها ...

فتعال ندخل معاً، ونتأمل ...

ونتغذى من هذه المائدة الروحية الدسمة من بعض مزامير الغروب.

البابا شنوده الثالث



الثمن ٤٥ قرشاً